

# نظرة قرآنية

الْفَاتِحَاتِ



الرُّؤُوسِ



الْأَحْزَابِ



الشُّورَى



الْبَلَدِ



الْعَصْرِ



الْمُنَافِقِينَ



الْكَافِرِينَ



رَبِّ الْعَالَمِينَ

# نظرات قرآنية

للشيخ أ.د. حاكم المطيري

جمع وإعداد

حساب سوانح الفكر (تويتر)

## (نظرات قرآنية)

هي سوانح تعرض أثناء تدبر القرآن والتفكر فيه، للوقوف على هداياته وأحكامه وحكمه ودلائل إعجازه على اختلاف وجوهها ظاهريا وإشاريا. <sup>(١)</sup>

أ.د. حاكم المطيري

---

(١) من تغريدات الدكتور.

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

منّ الرحمن علينا بنعمة عظيمة ومعجزة كبرى، أن أنزل إلينا كتاباً منه، نستهدي به السبيل القويم، بتدبره واستفهام معانيه ودلالاته والاستضاءة بهدآياته.

وهذه تأملات إيمانية ووقفات تدبرية في عدد من سور القرآن الكريم للشيخ أ.د. حاكم المطيري - حفظه الله -، كانت كالدرد المبعوث في [موقعه الإلكتروني](#) وفي [حسابه على موقع التواصل الاجتماعي \(التويتر\)](#).

تم جمعها وترتيبها في هذا الكتاب؛ لتسهل الاستفادة من هذه النظرات القرآنية التي سيجد فيها القارئ الكريم أفقا جديداً وفريداً للتدبر والربط بين السور وبعضها وتنزيلها على واقعنا و التفكير في مفرداتها والوقوف على هداياتها وأحكامها والدلائل الإعجازية فيها، بأسلوب سلس، لطيف، ميسر، بعيد عن التكلف والإطالة.

وتم الاقتصار هنا على نقل النظرات التي كتبها وغرد بها الدكتور -وفقه الله- حول سور معينة، وتأجيل طرح اللغات والروائع التدبرية الأخرى حول الآيات ليتم ضمها -إن شاء الله- للكتاب الذي سيحوي مجاميع تغريداته.

- يبدأ ترتيب نظرات السور في الكتاب

بنظرات سورة الفاتحة ثم نظرات السور القصيرة (الكافرون فالماعون فالعصر فالبلد)


وبعدها نظرات السور الأطول على الترتيب الذي غرد به الشيخ - حفظه الله -:

رمضان ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ نظرات سورة الروم.

رمضان ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ نظرات سورة الشورى.

رمضان ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ نظرات سورة الأحزاب.

- كل النظرات كانت تغريدات ماعدا نظرات سورة (الكافرون) كانت منشورة في موقع الشيخ في مقال باسم: (الإيجاز في بيان أوجه الإعجاز في سورة [الكافرون]).

- تمت الإشارة برمز  قبل التغريدات إلا في حال الترقيم.

- بعض التغريدات التي تكون مكملتها لبعضها تم دمجها معا.

- الآيات التي من خارج السورة التي حولها النظرات تمت الإشارة إليها في الحواشي.

- نُقلت معظم الآيات كما غرد بها الدكتور - بدون إكمالها -؛ إذ أن المقصد من ذلك إبراز الشاهد أو معنى معين.

هذا ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجزي شيخنا الكريم خيرا، وأن يفتح عليه، وعلى القراء الكرام. آمين.

[حساب سوانح الفكر](#) 

## من هدايات سورة الفاتحة

❁ من عرف أسرار الدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أدرك أن الهداية اصطفاء تستفتح بالحمد والثناء ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وتستتبع بالرجاء (أمين).

❁ فليس أمر الهداية راجعا إلى فطنة إنسانية وذكاء بل إلى نعمة ربانية وزكاء فقد يوفق الله لها الضعفاء والبسطاء فضلا ويصرفها عن الأذكياء عدلا.<sup>(١)</sup>

❁ ولهذا امتن الله على المؤمنين بالهداية فقال ﴿قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا﴾<sup>(٢)</sup> ففضل الله ورحمته التي يختص بهما من يشاء هما سبب الهداية والاصطفاء.

❁ وإذا كانت العقول الذكية تدل على الله ووجوب الإيمان به وطاعته فإن القلوب الزكية هي التي تحبه وتخشاه وترجو رضاه وتشتاق إليه وتتوكل عليه.

❁ ولهذا ورد (إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم)<sup>(٣)</sup> وورد (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد إلا وهي القلب)<sup>(٤)</sup>.

❁ نكمل النظرات في سورة الحمد وهي الباب وفاتحة الكتاب وفيها من الهدايات الربانية ما استحقت به التقديم والاستفتاح بها في التلاوات والصلوات.

❁ من أسرار الفاتحة أنها المثاني السبع التي تعادل القرآن بفضلها ﴿آتينك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾<sup>(٥)</sup> والمثاني ليست خطابا للعباد كباقي السور.

❁ فهي مثاني من الثناء والتمجيد بين يدي الله جل جلاله عند الوقوف في الصلوات واستفتاح العبادة وعند استفتاح القراءة التي هي مصدر العلم والهداية.

(١) سؤال ورد للدكتور ردا على التغريدة: ما الفرق بين الفضل والعدل؟ كيف يكون ذلك؟

الجواب: هذا سر من أسرار القضاء والقدر، فالله يهدي من يشاء للحق والخير رحمة منه وفضلا ويضل من يشاء حكمة وعدلا (ولا

يظلم ربك أحدا).

(٢) يونس : ٥٨

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) الحجر : ٨٧

❁ فالفاتحة تمجيد وثناء ودعاء من خطاب الرب على لسان العبد يستفتح به العبد السير إليه والاستهداء منه والتوسل إليه لاستقبال هدايات القرآن العظيم.

❁ وهي كالمحامد - كما في الصحيح - التي يلهمها الله رسوله المصطفى يوم القيامة حين يسجد ليشفع في الخلق والفصل بينهم فيثني على الله بها تمجيذا وحمدا.

❁ وفي ذلك إشارة إلى كمال ربوبية الله جل جلاله وحاجة الخلق إلى رحمته وهدايته وشدة افتقار الخلق وحاجتهم لرحمة ربهم وهدايته التي تستنزل بالحمد.

❁ وفي الصحيح (ليس أحد أحب إليه المدحة من الله ولهذا مدح نفسه)<sup>(١)</sup> فهو المستحق وحده للحمد أهل الثناء والمجد فبالحمد لله تنتزل الرحمة وتستحق الهداية.

❁ في قوله تعالى ﴿الحمد لله﴾ هدايات منها:

١- أن الحمد المطلق لله وحده بكل معانيه وصوره بما تفيدته أل بدخولها على اسم معنى من شمول واستغراق وإطلاق.

٢- أن الحمد المطلق ثابت مستقر وحق لله وحده كما تفيدته الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والاستقرار سواء شكره العبد أو كفره فهو الحميد أزلا وأبدا.

٣- وأن الحمد وهو شكر النعمة والاعتراف لمن صدرت منه بالفضل والجميل هو لله وحده فكل حمد حمده شاكر لنعمة وردت عليه إنما مستحقه على الحقيقة الله.

٤- وفيه إقرار بتوحيد الله وإفراده بالحمد كله وهو أول مقامات العبودية إذ فيه براءة العبد من الحول والقوة في جلب نعمة أو دفع نقمة لنفسه أو لغيره.

٥- وفيه تذكير العبد بجميل الرب وفضله عليه وتودده إليه لتكون العبودية لله قائمة ابتداء على الحمد والشكر وما يقتضيه من المحبة للمنعم والمودة له.

(١) رواه مسلم.

❁ من هدايات الفاتحة في ﴿الحمد لله رب العالمين﴾:

١- توحيد الله وإفراده بالربوبية للخلق جميعا وهو سبب استحقاقه للحمد كله إذ لا رب لهم يُحمد غيره.

٢- والرب في لغة العرب تطلق على الملك وعلى المالك لحق التصرف في الشيء وعلى السيد الذي له حق الطاعة فاستغرقت ﴿رب العالمين﴾ كل معاني الربوبية.

٣- وفيها نفي الربوبية عن سوى الله فلا رب يملك الخلق معه ولا رب يتصرف فيهم سواه ولا رب له حق السيادة عليهم والطاعة غير الله وحده لا شريك له.

٤- فأبطلت ربوبية وسيادة فرعون ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>(١)</sup> وطاعة العلماء وغيرهم ﴿اتخذوا أibarهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا﴾<sup>(٣)</sup>.

٥- وليس الله رب العالمين ورب السموات والأرض فقط بل هو ﴿رب الناس﴾<sup>(٤)</sup> وسيدهم الذي له وحده الطاعة والبشر بعد ذلك سواء لا طاعة ولا سيادة لأحد على أحد.

٦- وفي ﴿رب العالمين﴾ تودد وتحنن إذ الله جل جلاله رب الإنسان الذي يربيه ويعطف عليه والديه ويسوق رزقه إليه ويكلأ الخلق جميعا برحمته وفضله ومنه.

❁ من هدايات قوله تعالى ﴿الرحمن الرحيم﴾:

١- اتصاف الله بصفات الكمال المطلق للرحمة بشمولها الأكمل ﴿الرحمن﴾ وبلوغها الغاية الأجل ﴿الرحيم﴾.

(١) النازعات : ٢٤

(٢) التوبة : ٣١

(٣) آل عمران : ٦٤

(٤) الناس : ١



٢- وأن استحقاق الله للحمد المطلق هو لكونه جل جلاله مصدر الرحمة المطلقة الذي وسعت رحمته كل شيء وكل رحمة يتراحم بها الخلق فيما بينهم فمن رحمته.

٣- وفيه تعظيم لصفة الرحمة وأنها من أجل صفات الرب ﴿رب العالمين . الرحمن الرحيم﴾ كما فيه هداية العبد للتوسل إليه بهذا الاسم وبهذه الصفة الكريمة.

٤- وفيه تودد من الله تعالى إلى خلقه وتعريف لهم بأسمائه وصفات الجلال والجمال والكمال الحسنى وبدأ بالرب الرحيم تذكيرا بنعمه عليهم ورحمته بهم.

٥- كما فيه إشارة بفاتحة الكتاب إلى أن هذا القرآن وهداياته وأخباره وأحكامه من رحمة الله فهو كما وصفه الله ﴿هدى ورحمة﴾<sup>(١)</sup> فيستقبل بالحمد والشكر.

٦- وفي ﴿الرحمن﴾ معنى الشمول بالرحمة للخلق كافة فيما يشتركون جميعا به من النعمة وفي ﴿الرحيم﴾ معنى الاختصاص بالرحمة لمن اختصهم الله بمزيد لطفه.

٧- وفيه إشارة إلى أن خلق الرحمة قطب رحى رسالة القرآن السماوية وغايتها كما قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(٢)</sup> فالراحمون يرحمهم الرحمن.

✽ من هدايات الفاتحة في آية ﴿مالك يوم الدين﴾:

١- إثبات المعاد الأخروي والجزاء على الأعمال يوم القيامة فقدم ذكر الرحمة ترغيبا ثم الجزاء ترهيبا.

٢- وأثبت أن الملك والسيادة لله وحده ابتداء ﴿رب العالمين﴾ وانتهاء ﴿مالك يوم الدين﴾ ليستقبل العبد هداياته بين الرجاء والخوف والحب والخشية.

(١) لقمان : ٣

(٢) الأنبياء : ١٠٧

٣- ثم أتبع ذلك بما يقتضيه كونه رب العالمين بحق عباده ﴿إياك نعبد﴾ وما يقتضيه كونه مالك يوم الدين ﴿وإياك نستعين﴾ على الطاعة التي تحقق النجاة.

٤- وقدم إياك وهو المفعول على الفعل نعبد ونستعين لتحقيق التوحيد لأن تقديم المعمول يفيد الحصر والقصر أي لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك وحدك.

٥- فاشتملت مطالع الفاتحة على بيان حقيقة الوجود وواحديّة الخالق واتصافه بالربوبية والملك والرحمة وبداية الخلق ونهايته يوم القيامة والغاية منه.

❁ من هدايات سورة الفاتحة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾:

١- وفيها بيان حاجة الخلق جميعا إلى هدايات الله من خلال رسله وكتبه التي جاءت بالحق والعدل والرحمة .

٢- والهداية للحق والخير توفيق من الله واصطفاء لا يرجع إلى فطنة العقول وذكائها بل إلى تقوى النفوس وزكائها وفي الحديث (كلكم ضال إلا من هديته)<sup>(١)</sup>.

٣- والصراط المستقيم هو طريق الله الموصل إليه وإلى رضوانه وجنته في الدنيا والآخرة ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- والصراط المستقيم معرف بالأل لوضوحه واشتهاره وعدم خفائه وموصوف بالاستقامة تميزا له عما سواه من الطرق إلى الله والأديان التي اعترأها انحراف.

٥- وهذا الصراط المستقيم هو طريق جميع الأنبياء ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وهو نعمة من الله على عباده ورحمة منه عليهم أن بين سبيل السعادة والحق لهم.

❁ ثم نفى الله عن هذا الصراط المستقيم الذي هو طريق أنبيائه ونعمته على أوليائه أن يكون هو طريق المغضوب عليهم من الأشقياء والضالين من الأدعياء.

(١) رواه مسلم.  
(٢) يونس : ٢٥

❁ وفي هذا إشارة إلى أن الحق والطريق المستقيم وسط بين طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وأعرضوا عنه وكتموه وطريق من أرادوه فضلوا عنه وجهلوه.

❁ ولعظمة الحمد وتضمنها لهذه المقدمات كانت الباب و فاتحة الكتاب والسبع المثاني التي تقرأ في كل ركعة استفتاحا واستهداء وكان القرآن كله بيانا لها.



## الإيجاز في بيان أوجه الإعجاز في سورة ( الكافرون )

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:  
فقد سألتني أحد الأخوة النجباء، والأدباء الأذكياء، عن وجه الإعجاز في سورة (الكافرون)  
والتي لا يظهر فيها عنده وجه الإعجاز؟!  
وقد أجبته إجابة مختصرة مضمونها أن عدم الإتيان بمثلها كاف في إثبات إعجازها مع ما  
يتراءى لنا من سهولة النظم على مثالها، ثم لما تدبرت فيها من الغد إتباعاً لقول الله تعالى  
﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾<sup>(١)</sup> ظهر لي من أوجه الإعجاز البياني ما لم يخطر  
لي من قبل فشرعت أكتب تلك الخواطر من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العصر حتى جاءت هذه  
الرسالة اللطيفة، وفي الآية أوجه أخرى لمن أنعم فيها النظر، وأجال فيها الفكر، وهذه بعض  
أوجه الإعجاز فيها:

**الوجه الأول:** أن التحدي والإعجاز تحققاً عند عدم الإتيان بسورة على نحو هذه السورة،  
بقطع النظر عن البحث في وجه الإعجاز فيها، إذ عدم الإتيان هو الإعجاز ذاته، وقد كان  
باستطاعة المشركين أن يبطلوا دعوى النبي من أساسها بالإتيان بسورة من مثله، دون أن  
يسفكوا دماءهم، ويبدلوا أموالهم، وكان الإتيان بسورة واحدة كاف في إبطال الدعوى مع  
ظهور التحدي أولاً بالإتيان بمثل القرآن ثم بعشر سور مثله مفتريات ثم بسورة واحدة كما في  
قوله تعالى: ﴿قل لن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله  
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾<sup>(٢)</sup> ﴿قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿قل فاتوا بسورة  
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾<sup>(٤)</sup> ﴿فاتوا بسورة من مثله وادعوا  
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا...﴾<sup>(٥)</sup>.

فلما لم يأتوا بشيء من ذلك، مع كون العرب أئمة البيان، وأهل اللسان، وأصحاب اللغة  
وأربابها، وآل الفصاحة وأصحابها، حتى نظموا من الشعر وقرضوا منه ما لم تقرضه أمة من

(١) محمد : ٢٤  
(٢) الإسراء : ٨٨  
(٣) هود : ١٣  
(٤) يونس : ٣٨  
(٥) البقرة : ٢٣ - ٢٤

الأمم كما نص على ذلك المؤرخ الفرنسي (جوستاف لويون) في كتابه (حضارة العرب)، وبلغ عنايتهم بعلوم اللسان، وفنون البيان، من شعر ونثر أن عقدوا لها الأسواق ليتباروا فيها أيهم أفصح لسانا، وأبلغ بيانا، حتى عبروا عما يعنيه من أمورهم، وما تختلج من المعاني في صدورهم، وصوروها شعرا ونظما، كأنما يراها السامع رأي العين شكلا ورسما، وأخرجوها بأشعارهم من حيز المعنويات، إلى حيز الماديات، والمصورات المشاهدات، مما يقطع معه أن التحدي وقع لهم فيما يحسنونه وينظمونه، وكان أسهل عليهم أن يأتوا بسورة من مثله من تعرضهم للقتل والحرب، مع طول المدة والمهلة.

**الوجه الثاني:** إن الإعجاز هو في صرفهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة، فصارت كل سورة من سوره - مهما كانت قصيرة يتراءى للنفس إمكان الإتيان بمثلها - معجزة بذاتها لا يستطيع الخلق أن يأتوا بمثلها إلى قيام الساعة ﴿فإن

**لم تفعلوا ولن تفعلوا**﴾<sup>(١)</sup> مع عدم وجود ما يحول دون الإتيان بمثلها حسا وطبعًا، ومع

استمرار وجود أعداء الرسالة، وقيام التحدي لهم في كل عصر، ومع استهزائهم بالقرآن وسوره، وادعائهم أنه مفترى، وأنهم يستطيعون الإتيان بمثله، وأنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وعشيا، ومع ذلك كله لم يأت أحد منهم بسورة واحدة يبطل بها التحدي، فكان صرف الخلق عن ذلك هو المعجز، وهو الإعجاز الدال على صدق الرسول، وصدق الرسالة، وأنها حق من عند الله، فاستوى بذلك القرآن كله، والسورة القصيرة منه.

إذ التحدي وقع في هذا وهذا، ولم يأت أحد بمثل ذلك و لا ذا، وهو أمر خارج عن العادة الإنسانية، ومصادم للسنن الاجتماعية، في اجتهاد الخصم والعدو في إبطال دعوى خصمه ونقضها بكل وسيلة يقدر عليها، ولما جبل عليه الإنسان بطبيعته من حب الظهور والظفر فيما هو أدنى من ذلك، فكيف بمثل هذا الأمر العظيم الذي تبطل به الأديان التي هي أحب عند أتباعها من النفوس والأموال؟!

وإذا كان (الحدوث دليل الإمكان) وكان القرآن والسورة الواحدة منه من جنس كلام العرب، وكان من جاء به واحداً منهم، وبشراً مثلهم، فقد أصبح في حيز الإمكان أن يأتوا هم بمثله عادة، وخرج بذلك عن أن يكون مستحيلا عادة وعقلا الإتيان بمثله أو بسورة واحدة منه، وإذا لم يكن مستحيلا فقد وقع إذن التحدي فيما هو ممكن، إذ نظم ست عبارات مثل آيات (الكافرون) لا يستحيل عادة ولا عقلا، إذ هو كلام عربي مبين، واضح المعاني، سهل المباني، فكان عدم الإتيان بمثل هذه السورة وغيرها من سور القرآن القصار، هو المعجزة الظاهرة

(١) البقرة : ٢٤

التي لا إعجاز أوضح منها ولا أظهر، سواء أقيّل الله هو الذي يحول بينهم وبين الإتيان بمثلها ويصرفهم عن ذلك، أم قيل إن الله خلى بينهم وبين ذلك فلم يستطيعوا، إذ الإعجاز تحقق بعدم الإتيان في حد ذاته بقطع النظر عن أسبابه.

**الوجه الثالث:** أن القرآن والسورة الواحدة منه كله كلام الله، وهذا أصل الدعوى وأساسها

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾<sup>(١)</sup> ﴿إنا علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾<sup>(٢)</sup>

﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾<sup>(٣)</sup> وإذا كان العقل يقطع بأن ذات الخالق لا تشابه ذوات

المخلوقين، فصفاته قطعاً لا تشابه صفاتهم، وكلامه لا يشبه كلامهم، وهذا بدلالة العقل الذي يقطع بأن لا موجود بلا موجد، ولا حادث بلا محدث، ولا مخلوق بلا خالق يتصف بصفات الكمال المطلق.

فإذا ثبت ذلك بدلالة العقل، وثبت أن إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم لهداية الخلق إلى خالقهم هو من الممكنات العقلية، وأن خطاب الخالق إلى المخلوق في حيز الإمكان العقلي، وإذا ثبت لدى أهل الأديان قاطبة على اختلاف مللهم ونحلهم السماوية والأرضية أن الله أرسل كثيراً من الرسل لهداية الخلق، وأنزل على بعضهم كتباً، وأوحى إليهم، وكلمهم، وكان حدوث ذلك كله دليل إمكانه، وكان آخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن ما جاء به من قرآن هو من عند الله ومن كلامه ووحيه، والدليل عليه هو أن الخلق كلهم لو اجتمعوا ما استطاعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة واحدة، لأنه كلام الله، ثم لم يأتوا فعلاً بمثله، كان ذلك أوضح حجة على أن هذا القرآن كلام الله حقاً، يستوي بذلك القرآن كله، والعشر سور منه، والسورة الواحدة القصيرة ، إذ كلام الله ليس ككلام خلقه، كما أن ذاته ليست كذواتهم ﴿ليس

كمنه شيء﴾<sup>(٤)</sup> فالسبب في عدم قدرة العرب والخلق كافة على الإتيان بسورة واحدة قصيرة

كمثل (الكافرون) هو كونها من كلام الله وكفى، والبرهان على ذلك هو عجز الخلق قاطبة عن الإتيان بمثلها، ولا تفسير لذلك بداهة إلا كونها من كلام الله، والإتيان بمثل كلام الله خارج عن حيز الإمكان العقلي، إذ استحيل عقلاً مماثلة المخلوق للخالق في ذاته أو صفاته، فصار القرآن من حيث هو كلام الله يستحيل أصلاً الإتيان بمثله عقلاً، وخارجاً عن حيز الممكنات، ومن حيث

(١) فصلت : ٦

(٢) القيامة : ١٧ - ١٨

(٣) التوبة : ٦

(٤) الشورى : ١١

هو كلام عربي مبين، يتلوه رجل عربي أُمي، بألفاظ وحروف من جنس ما يستخدمه العرب في كلامهم، في حيز الإمكان وفي نطاق قدرتهم، فكان التحدي بذلك أظهر.

**الوجه الرابع:** إن أسلوب القرآن ونمطه لا عهد للعرب به، فلا هو بالشعر، ولا هو بالنثر، بل هو قرآن لا يشابه كلامهم مع كونه من جنس كلامهم، ومن مفردات لغتهم، بل إنه لا يشابه كلام النبي، فالفرق بين القرآن والحديث النبوي فرق ظاهر جلي مع كونهما وحي من الله ﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى﴾<sup>(١)</sup> إلا أن القرآن كلام الله وخطابه، والحديث النبوي كلام الرسول وبيانه عن الله تعالى.

وكذلك الفرق بين كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام أصحابه واضح جلي، لا يكاد يخفى على من يعرف كلامه وأسلوبه ونمطه، وكذا الفرق بين كلام أصحابه وكلام أتباعه، ولهذا يسهل على أهل العلم المتخصصين أن يميزوا بين كلام النبي وكلام من سواه بالنظر للفظ والأسلوب، كما يستطيع أهل الشعر أن يميزوا بين قصائد الشعراء لمعرفة أسلوب كل شاعر ونمطه، بل ربما استخرجوا من القصيدة الواحدة ما زيد فيها من أبيات ليس منها لكونها ليست من نمطها، ولا يكاد يختلط على أهل الشعر والأدب والنقد شعر أبي الطيب بشعر أبي العتاهية، ولا شعر أبي تمام بشعر البحتري، فضلا عن أن يختلط عليهم شعر أهل الجاهلية بشعر من بعدهم، وشعر العصر الأموي بالعصر العباسي الثاني.

وكذا يستطيع أهل التخصص من الأدباء والفصحاء معرفة أسلوب الرافعي وتمييزه عن أسلوب المنفلوطي، وأسلوب العقاد من أسلوب طه حسين، فكل كاتب وشاعر أسلوبه ونمطه وطريقته التي هي كالبصمة لا يستطيع التخلص منها ولا انتحالها إلا على وجه من التكلف الذي يكشف حقيقة التقليد، وإذا كان الأمر كذلك كان محاكاة كلام الله أمرا ظاهرا لا يخفى، والتحدي إنما هو في المثلية ﴿بسورة من مثله﴾<sup>(٢)</sup> والمثلية تقتضي المطابقة والمماثلة على

وجه لا يمكن معه التمييز بينهما.

ونحن نرى الفرق ظاهراً جلياً بين القرآن والحديث النبوي بحيث لا يخفى الفرق بينهما على من له أدنى معرفة في القرآن والسنة، ولو كان في مقدور أحد من البشر أو العرب أن يتأثر خطأ القرآن ويتأثر أسلوبه ونمطه لكان ذلك في مقدور النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان أفصح العرب قاطبة، وكان يتلو القرآن بكرة وعشياً مدة ثلاث وعشرين سنة، ومع ذلك كله لم

(١) النجم : ٣ - ٤  
(٢) البقرة : ٢٣

يقع في كلامه صلى الله عليه وسلم - مع كثرة ما تواتر عنه وما حفظ من كلامه - ما يشابه القرآن ولو في عبارة واحدة مع أنه أوتي جوامع الكلم؟! وهذا ما يجده المسلمون في أنفسهم، فإنهم يحفظون القرآن عن ظهر قلب، ويتلونه ليل نهار، ويخرج منهم الشعراء، والخطباء، والكتاب، وأئمة اللغة، وأرباب البيان، ثم لا يكاد أحدهم يواطئ أسلوبه أسلوب القرآن، ولا نمطه، ولو مصادفة بلا قصد؟! مع أن من يحفظ ديوان شاعر، ويعتني بشعره، ويكثر من ترديده، يستطيع محاكاته وتقليده، بل يتأثر أسلوبه ونمطه من حيث لا يشعر.

ولا تفسير لهذه الظاهرة اللغوية في القرآن وأسلوبه ونمطه إلا كونه كلام الله تعالى، فظهر بذلك أن أسلوب السورة القرآنية القصيرة كسورة (الكافرون)، ونمطها، ونظمها، معجز في حد ذاته، لا يستطيع أحد الإتيان بمثله، إذ السور القصيرة كالسورة الطويلة، وكالعشر سور، وكالقرآن كله، على نمط واحد، وأسلوب واحد، وهذا ما يدركه كل عربي بدهاءه بسليقته، فمهما اختلفت السور في مضامينها، ومعانيها، وقضاياها التي اشتملت عليها، إلا إن أسلوبها ونمطها واحد، لا هو بالشعر ولا بالنثر، بل نمط آخر هو القرآن.

**الوجه الخامس:** أن الله وصف قرآنه بأنه هدى ونور وفرقان وبرهان وبيان وموعظة وحكمة... الخ وهذه الأوصاف تصدق على القرآن ككل، وما من سورة إلا ولها من هذه الأوصاف حظ ونصيب، فمن آيات البرهان والفرقان التي تخاطب العقول ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿قل هو الله

أحد. الله الصمد...﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿قل لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾<sup>(٣)</sup> ومثلها كثير.

فهذه الآيات ونحوها دلائل برهانية على إثبات وحدانية الله، فانتظام حركة الوجود، وصلاحه وعدم اضطرابه، دليل على خالقه الذي يصرفه، فهذا برهان عقلي يقوم على مقدمات منطقية هي:

**المقدمة الأولى:** لو تعددت الأرباب لفسدت السموات والأرض، و لا اضطرب الوجود بسبب حدث التنازع واختلاف الإرادات بينهم.

**المقدمة الثانية:** وبما أنه لا اضطراب ولا اختلاف في حركة الوجود بل صلاح وانتظام.

(١) الطور : ٣٥ - ٣٦

(٢) الإخلاص : ١ - ٢

(٣) الأنبياء : ٢٢



**النتيجة:** ثبوت وحدانية الرب وانفراده بالخلق والتصريف، واتصافه بكمال القدرة والعلم... الخ.

وباختصار فالتعدد يقتضي الفساد، وبما أنه لا فساد، فلا تعدد، بل وحدانية وانفراد مطلق.  
ومن أمثلة الآيات الوعظية التي تخاطب القلوب قوله تعالى: ﴿نبى عبادي أنى أنا الغفور الرحيم﴾<sup>(١)</sup>، ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له...﴾<sup>(٢)</sup>

ومن أمثلة آيات الحكمة ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا...﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾<sup>(٤)</sup>.

ولهذا لم يقع التحدي بآية واحدة، إذ في القرآن آيات هي عبارة عن كلمة واحدة، أو حرف، ولا يظهر في مثل ذلك شيء من ذلك، كما لا يظهر فيه أسلوب ونمط يصلح به التحدي، وإنما يظهر ذلك ويتجلى بالكلام المركب، وذلك ظاهر في كل سورة مهما كانت قصيرة بخلاف الآية التي قد تكون حرفا واحدا مثل ﴿ن . والقلم وما يسطرون﴾<sup>(٥)</sup>

وسورة (الكافرون) لها نصيب من الوصف المذكور للقرآن على سبيل الإجمال، وهو كونه بيانا وهدى وفرقانا بين الحق والباطل.

وهذا يتجلى في هذه السورة في أوضح صورة فقوله: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ خطاب ونداء موجه إلى الكافرين جميعا، فدخول (أل) على اسم الفاعل (كافر)، المشتق من (كفر)، المجموع جمعا سالما، هو من أبلغ صور العموم في لغة العرب، فقد أفاد الشمول والاستغراق لكل كافر من مشركي العرب ومن غيرهم، من كان موجودا آنذاك ومن يأتي من بعدهم، فعمهم النداء، وشملهم الخطاب، فلم يستثن منهم أحدا.

ثم قال ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ فجاء بالفعل المضارع (أعبد) الذي يفيد الاستمرار وتجدد الحدث، ثم سلط عليه أداة النفي (لا) ليفيد نفي عموم الفعل وتجده، وجاء بـ (ما) وهي اسم

(١) الحجر : ٤٩

(٢) الزمر : ٥٣ - ٥٤

(٣) الفرقان : ٦٣

(٤) الإسراء : ٣٨

(٥) القلم : ١ - ٢

موصول - مفعول به - وهي من أسماء العموم تفيد الاستغراق والشمول بمعنى (الذي)، وجاء بصلته (تعبدون) وهو فعل مضارع من الأفعال الخمسة، والواو واو الجماعة، فأفادت ﴿ما تعبدون﴾ عموم معبوداتهم، وعموم عباداتهم على اختلاف أنواعها وأجناسها، لكثرة معبوداتهم وأصنامهم، وأفرد معبوده بقوله (ما أعبد).

ثم قال ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ فجاء بالجملة الاسمية التي تفيد الثبات بعد الجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث، ونفى هذه كما نفى تلك، وجاء بالوصف المشتق وهو اسم الفاعل (عابدون) الذي يفيد أيضا معنى الاستقبال.

ثم قال ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ فجاء هنا أيضا بالجملة الاسمية (أنا عابد)

التي تفيد الثبوت، كما جاء من قبل بالجملة الفعلية (لا أعبد) التي تفيد الحدوث والتجدد، ونفى هذه وتلك.

فلا ما يصدر عنهم من فعل العبادة كمثل ما يصدر عنه من فعل، ولا الوصف القائم به من العبودية (عابد) كالوصف القائم بهم من العبودية (عابدون)، ولا معبداتهم على اختلافها وكثرتها كمعبوده مع وحدانيته.

ثم جاء بعد (عابد) بالمفعول وجعله اسما موصولا يفيد العموم وهو (ما)، وجعل صلته هنا فعلا ماضيا (عبدتم)، بينما جعل صلته من قبل فعلا مضارعا (ما تعبدون)، ليشمل النفي الماضي والحاضر والمستقبل.

ثم أكد ذلك بقوله ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ مرة ثانية على سبيل القطع والتأكيد، ليرفع ما قد يتوهمونه من إمكان أن يكونوا على شيء من دينه وعبادته.

ثم قال ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ ليقطع عليهم طريق اللقاء به ماداموا على كفرهم وشركهم فلهم دينهم وله دينه.

فاشتملت هذه السورة مع قصرها وتكرار ألفاظها وتضمنت من صور العموم والشمول، والقطع والتأكيد، والنفي والإثبات، والبيان والوضوح، ما يجعل منها فرقانا بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والإسلام والوثنية، والتوحيد والشرك.

فمن صيغ العموم (أيها) و(الكافرون) و(ما) و(ماتعبدون) و(ما عبدتم) و (عابدون)، وجاء بأصريح ألفاظ النفي وهي (لا) وسلطها على الجملة الفعلية، والجملة الاسمية، كما سلطها على الفعل المضارع، والفعل الماضي (تعبدون) (أعبد) (عبدتم).

وجاء بـ (ما) وهي اسم موصول يفيد العموم، تارة يأتي بمعنى (الذي)، وتارة يأتي بمعنى (الذين)، فأتى بالصلة بحسب السياق فقال (ماتعبدون) أي (الذين تعبدون) ليشمل كل معبوداتهم، وقال (ما أعبد) أي (الذي أعبد) ليفيد وحدانية معبوده.

وقد تكون (ما) أيضا مصدرية تسبك بما بعدها فيكون المعنى (لا أعبد عبادتكم) و(لا أنتم عابدون عبادتي).

وعليه فقد تضمنت السورة ما يلي:

١ - نفي أن تكون عبادته عبادتهم، كما نفي أن تكون عبادتهم كعبادته.

٢ - ونفي أن تكون عبوديته (عابد)، كعبوديتهم (عابدون)، ولا صفته ووصفه القائم به كصفتهم ووصفهم القائم بهم، ولا صفتهم كصفته.

٣ - ونفي أن يكون معبوده الواحد كمعبوداتهم، ولا معبوداتهم كمعبوده الواحد.

٤ - ونفي أن يكون دينه كدينهم، ودينهم كدينه.

فلا الفعل كالفاعل، ولا الوصف كالوصف، ولا المعبود كالمعبود، ولا الدين كالدين.

فيصدق على هذه السورة القصيرة أنها بيان قاطع، وفرقان فارق، بين الحق والباطل، كما هو شأن القرآن ووصفه، والله تعالى أعلم.

**الوجه السادس:** أن التحدي جاء للخلق كافة أنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، غير أنه لما كان العرب الذين نزل عليهم القرآن وهم عرب الجاهلية من أفصح الأمم، بل أفصحها على الإطلاق، ولما كانت حكمة الله تعالى تفتضي أن تكون آخر رسالة منه للعالمين، وآخر خطاب للعباد، رسالة بيانية، تنزل بأفصح وأوضح لغة، لتقوم حجة الله على خلقه إلى قيام الساعة، من حيث استمرار الحجة وبقائها، ومن حيث وضوحها وبيانها، ولا يتحقق ذلك إلا بأن تكون حجته بيانية لسانية، تتضمن أحكام الله وتشريعاته، وحكمه ومواعظه، وبراهينه وقصصه، وأخباره، على وجه تظهر فيه المعجزة من جهة، والبيان والوضوح من جهة أخرى، بحيث لا يحتاج الخلق معها إلى رسول آخر، ولا معجزة أخرى، ولا رسالة ثانية، بشرط أن يكون خطابه محكما محفوظا لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى لا يدخل عليه الخلل بالزيادة فيه أو النقص منه، أو تحريفه وتبديله، وإلا لم تقم الحجة على الخلق، ولهذا قال:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>(١)</sup> وقال ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد﴾<sup>(٢)</sup>.

ولهذا امتن الله على عباده كافة بأن جعل خطابه وكتابه إليهم بلسان عربي مبين هو الغاية في الوضوح والبيان والإيجاز ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾<sup>(٣)</sup>.

كما امتن عليهم بحفظ الله له من التبديل والتحريف ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾<sup>(٤)</sup> فبلغ أفصح الخلق وأصدقهم رسالة الله إلى العرب كافة، فلم يمت حتى دخل العرب في دين الله أفواجا، ثم جعل الله العرب - وهم أفصح الأمم وأقدرها على الفهم والإفهام، والتبيين والبيان، بأوجز عبارة و أوضحها - واسطة بين الرسول وكافة الأمم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾<sup>(٥)</sup> فلم يمت آخر صحابي حتى بلغ

الإسلام مشارق الأرض ومغربها، ودخلت الأمم من غير العرب في دين الله أفواجا، بعد أن بلغهم العرب حجة الله وخطابه وكتابه بلغاتهم على اختلاف ألسنتهم، فاستجابوا لله ورسوله، وعلم أهل الكتاب أنه الحق الذي بشرت به الأنبياء من قبل، وعلم غيرهم أن كل ما جاء به القرآن من عقائد وأحكام وأخلاق وآداب أوضح دليل على أنه من عند الله وأنه حق كله، كما قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾<sup>(٦)</sup> واستوى في

ذلك العربي وغير العربي، فكان استجابة العرب للقرآن و إيمانهم به وعجزهم عن الإتيان بمثله ولو بسورة قصيرة، وشهادتهم له بأنه أفصح الكلام وأوضحه وأجزله، وأنه خارج عن نطاق قدرة أدبائهم، وخطبائهم، وشعرائهم، دليل على أنه معجز وحجة وكان العجم تبعا لهم.

وكذا حال من يأتي بعدهم، إذ التاريخ شاهد على أنه لم يأتي بعد عرب الجاهلية من يجاريهم في الفصاحة والبيان، وفنون وعلوم اللسان، وأن قصارى من جاء بعدهم أن يحاكوا أشعارهم ويتبعوا آثارهم.

(١) الحجر : ٩

(٢) فصلت : ٤٢

(٣) فصلت : ٣

(٤) النساء : ١٦٧

(٥) البقرة : ١٤٣

(٦) فصلت : ٥٣

ومن هنا يظهر أن الله لم ينزل القرآن على هذا النحو الموجز المعجز تحدياً للعرب، بل الصحيح أن الله هياً العرب على هذا النحو واصطفاهم قبل البعثة، لينزل عليهم كتابه وخطابه الخالد ليفهموه ويبلغوه الأمم الأخرى، وذلك يقتضي إعادتهم على النحو الذي بلغوه وبرعوا فيه في علوم البيان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

والمقصود أن العرب المشركين آمنوا بالقرآن كله، وأدركوا أن كل سورة الطوال والقصار، بلغت الغاية في الإعجاز البياني، ولم يروا فيه خلا، ولا نقصاً، ولا عيباً، لا في طول سورة ولا قصاره، مع اختلاف مضامينها و موضوعاتها، فإذا أقرأوا له بذلك، كان اعترافهم وإقرارهم حجة على من سواهم، من باب أولى، وهذا كما إذا شهد شعراء أهل عصر من العصور على أن أحدهم أشعرهم، فإن شهادتهم له حجة على أهل عصرهم ممن لا يحسن نظم الشعر ولا يقرضه، وليس لغير الشعراء والأدباء إلا التسليم لهم فيما أجمعوا عليه، وإن كان غيرهم لا يرى في شعره ما يرونه هم، ولا يتذوق منه ما يتذوقونه منه، وهذا كحال العامة في هذا العصر الذين لا يتذوقون الشعر العربي الفصيح، لا الشعر الجاهلي ولا الإسلامي، لفساد سليقتهم، وعجزهم عن فهمه وتذوقه، وبسبب قصورهم لا لقصور في الشعر العربي الفصيح، فلا يمكن للعامة أن يحكموا على الشعر العربي ولا أن يميزوا بين طبقات شعرائه، وإنما يقبل ذلك ممن تعلم العربية حتى غدا كأهلها سليقة.

وإذا كان هذا حال العامة مع الشعر العربي، وأنهم تبع لأنمة الشعر، وأدباء العصر، في تذوقه، وفهمه، فكذلك حالهم مع القرآن، فإنهم تبع في فهمه وتذوقه لعرب الجاهلية، الذين أسلموا طوعاً وإيماناً منهم بأنه كلام معجز لا يمكن الإتيان بمثله، وأنه لا يجارى في بلاغته، ونظمه، وبيانه، وحكمه، يستوي في ذلك طوال سورة وقصارها، إذ لو رأوا فيه خلا، أو ضعفاً، أو عيباً في لغته، لحال ذلك بينهم وبين الإيمان به، و لكان حجة لكل من يرفض الدخول فيه، غير أنهم لم يفعلوا فدل ذلك على أحكامه وإعجازه، ومن ذلك سورة (الكافرون).

**الوجه السابع:** أن إعجاز القرآن على وجوه عدة منها :

١ - إعجاز بياني من حيث النظم والأسلوب، واستخدام الألفاظ، ومراعاة مقتضى الحال والخطاب، على اختلاف الموضوعات التي طرقها.

٢ - إعجازه التشريعي وتفصيله للأحكام على كثرتها بأوجز عبارة وأوضحها كما في آيات

الفرائض ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ

ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ

كان له ولد...﴿<sup>(١)</sup> فقد اشتملت ثلاث آيات محكمات من القرآن على علم الفرائض

والمواريث كله، وقسمت الفرائض وحددت نصيب كل وارث، في كل أحواله، في حال انفراده وحده ، وحال اجتماعه مع غيره، وفي حال الذكورة، أحوال الأنوثة، وحال الأبوة، وحال البنوة، وحال الكلاله، على نحو يحتاج بيانه إلى كتب كاملة، وهو ما ليس في نطاق البشر أن يأتوا بمثله على هذا النحو الموجز.

ومع تفاوت نزوله بحسب الحوادث مدة ٢٣ سنة إلا أنه لا يوجد تعارض بين أحكامه وتشريعاته، بل كان آياته لشدة أحكامها نزلت جملة واحدة.

٣ - إعجازه الخبري سواء في إخباره عن الماضي، وما وقع فيه من حوادث وقع الخلاف فيها بين أهل الأديان والكتب السابقة، فقصها على الوجه الصحيح كأنه حضرها، أو فيما أخبر به من حوادث المستقبل مما وقع بعد ذلك على وفق ما أخبر، كالإخبار عن ظهور الإسلام وعلوه على الأديان، مع كون ذلك نزل في مكة في حال الضعف والاضطهاد.

٤ - إعجازه العلمي حيث تحدث القرآن عن قضايا الوجود وخلق السموات والأرض، وأنهما كانتا رتقا ففتق الله بينهما، وأنه جعل من الماء كل شيء حي، وأن أصل ذلك الدخان ... الخ

وما زال العلم المادي الحديث منذ نشأته يتوافق مع ما جاء في القرآن من هدايات علمية.

٥ - الإعجاز الترتيبي حيث أن ترتيب سورته، وكذا ترتيب الآيات في كل سورة، على وفق نظام بديع معجز، مع كونه نزل مفردا منجما مدة ثلاث وعشرين سنة، فجاء ترتيبه على نحو لا نظير له، لمن تدبر فواتحه، وخواتيمه، وتناسبها، وتناسقها.

٦ - الإعجاز العددي حيث وردت فيه كثير من المفردات والألفاظ، كالسماء والأرض، والليل والنهار، والسمع والبصر، والذكر والأنثى... الخ على نحو من التوافق والتناسب العددي المعجز.

٧ - الإعجاز الإتياني ويتجلى ذلك في حفظه وضبطه على نحو فريد لا يشاركه ما من كتاب بما في ذلك كتب أهل الأديان الأخرى إلا في نسخها اختلاف ونقص وزيادة، هذا مع أن القرآن نزل على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وعلى نبي أمي، ومع ذلك تحقق له هذا الأمر المعجز الذي لا ينزع فيه إلا مكابر، حتى شهد له بذلك المنصفون الغربيون، ولم يقتصر الحفظ والضبط له بالرسم والخط، بل بالقراءة، واللفظ، والتجويد، وكيفية قراءة كل حرف فيه.

(١) النساء : ١١

وكذا يتجلى الإعجاز الإِتقاني في إحكام آياته، حتى وقع التحدي فيه كما في قوله تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾<sup>(١)</sup> فليس فيه اختلاف ولا اضطراب، بل إحكام وإِتقان، يصدق بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا، حتى كأنه نزل جملة واحدة لا مفرقا على حسب الوقائع والحوادث مدة ثلاث وعشرين سنة؟!!

فهذه بعض صور ووجه الإعجاز القرآني، ولكل سورة نصيب وحظ من هذه الوجوه والصور، ومن ذلك سورة (الكافرون)، ففيها إعجاز بياني يتجلى في عجز مشركي العربي عن الإِتقان بمثلها، وكذا إعجاز خبري حيث تحقق صدق ما أخبرت به هذه السور القصيرة من أنه لا لقاء بين دين التوحيد ودين الشرك، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل، مع كونها سورة مكية، وكان ممكنا أن يصلوا إلا حل وسط يرضي الطرفين، غير أن ما أخبرت به السورة هو الذي تحقق على أتم وجه وأكمله.

وكذلك فيها إعجاز ترتيبي فقد جاءت بعد سورة (الكوثر) وهي مكية، وفيها إخبار بإكرام الله لنبيه ونصره وإعزازه ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾<sup>(٢)</sup> والكوثر تعني الكثرة، مع أن (الكافرون) فيها مقاطعته لقومه واعتزاله إياهم ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، ثم جاءت بعدها سورة مدنية وهي

(النصر) ﴿إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾<sup>(٣)</sup>

والتناسب بين السور الثلاثة ظاهر جلي، وقد تحقق ما أخبر الله به في (الكوثر) من قطع وبتر أعدائه، وما أخبر به في (الكافرون) من عدم اللقاء والتوافق بين النبي صلى الله عليه وسلم وأعدائه، وأن لكل دينه وطريقه، وما أخبر الله به في (النصر) من دخول المشركين في نهاية المطاف في دين الله أفواجا!!

وكذلك في (الكافرون) إعجاز إِتقاني فلا اختلاف ولا اضطراب ولا تعارض بينها وبين كل سور القرآن وآياته في موضوعها ومضمونها وإخبارها ونظمها وأسلوبها. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) النساء : ٨٢

(٢) الكوثر : ٣

(٣) النصر : ١ - ٢

## من تفسير سورة الماعون

- ﴿تدبر قوله تعالى ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين﴾ فقد ربط بين حقيقة الدين وغايته وهو الإحسان إلى الإنسان.﴾
- ﴿فقد جعل أبرز صفات المكذبين بالدين طردهم لليتيم وظلمهم للضعيف وعدم حثهم الآخرين على إطعام المساكين وليس فقط قيامهم هم بالإطعام للمساكين!﴾
- ﴿والتكذيب بالدين هنا إما عدم التصديق بشرائعه وأحكامه التي تأمر بالإحسان إلى الخلق وتعد بالثواب عليه والعقاب لمن فرط فيه أو التكذيب بالحساب.﴾
- ﴿فالتكذيب بالدين أي بيوم الدين وهو يوم الجزاء والحساب والعقاب في القيامة إذ السبب الذي يبعث الإنسان على العمل الصالح هو إيمانه بالبعث والجزاء.﴾
- ﴿وفي الحديث (الصلاة نور والصدقة برهان)<sup>(١)</sup> أي دليل على الإيمان لأن من يتصدق على الفقراء بالعاجل رجاء الثواب الآجل لا يفعل ذلك إلا عن إيمان ويقين.﴾
- ﴿ثم قال ﴿فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ وهم المشركون الذين يصلون في البيت الحرام ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾<sup>(٢)</sup> بلا إيمان.﴾
- ﴿وفي قراءة ابن مسعود ﴿عن صلاتهم لاهون﴾ لأنهم وإن كانوا يحجون ويصلون إلا أنها صلاة لهو ولعب لا حقيقة لها فلا تنهاهم عن ظلم ولا تحثهم على إحسان.﴾
- ﴿فالمشركون المكذبون بيوم الدين وبالدين وأحكامه يصلون عند البيت إلا أنهم ساهون لاهون عن حقيقة الصلاة التي تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر.﴾
- ﴿ولهذا قال فيهم ﴿ما سلكنم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين﴾<sup>(٣)</sup> فجمعوا بين تفريطهم في الصلاة وهي حق الله وإطعام المساكين ورحمتهم.﴾

(١) رواه مسلم.  
(٢) الأنفال : ٣٥  
(٣) المدثر : ٤٢ ~ ٤٤



- ❁ فساهون أي لاهون معرضون عن الصلاة والعبودية لله كما قال ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾<sup>(١)</sup> وعبر باسم الفاعل ساهون كوصف ثابت.
- ❁ وهذا بخلاف المؤمنين فإنهم لا يقال عنهم ساهون عن صلاتهم بل قد يسهون عن صلاتهم كما في الصحيح (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها)<sup>(٢)</sup>.
- ❁ ثم قال تعالى ﴿الذين هم يراعون . ويمنعون الماعون﴾ فصلاة المشركين عند البيت ليست عن إيمان ويقين بالله بل هم يراعون في استقبال الحجيج وخدمتهم .
- ❁ كما قال ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾<sup>(٣)</sup>.
- ❁ فالمشركون بالله يراعون الناس بأعمالهم ومع ذلك ﴿يمنعون الماعون﴾ عن المحتاجين واليتامى والمساكين وكل من يحتاج إلى العون والإعانة والمعونة!!
- ❁ فتدبر سورة الماعون مع قصرها وهي سورة مكية وكيف اشتملت على حقيقة الدين وغايته والعبودية للحق جل جلاله وغايتها الرحمة بالخلق والإحسان إليهم.
- ❁ الآية في قوله ﴿يكذب بالدين﴾ تحتل يكذب بالجزاء والحساب ويطلق عليه في اللغة الدين وهو يكون يوم القيامة ولهذا سماه الله يوم الدين أي يوم الحساب.
- ❁ وتحتل يكذب بالدين أي يكذب بأحكام الدين وشرائعه وأخباره كما في حديث جبريل الطويل (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)<sup>(٤)</sup> وكلا المعنيين محتمل وله وجه.
- ❁ لا فرق بين ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ أي معرضون و لاهون وقوله ﴿لم نك من المصلين﴾<sup>(٥)</sup> من حيث أن المعرضين عن الصلاة ليسوا من المصلين قطعاً.

(١) مريم : ٥٩  
(٢) رواه مسلم.  
(٣) التوبة : ١٩  
(٤) رواه مسلم.  
(٥) المدثر : ٤٣

﴿ أجمع المسلمون على كفر من لا يصلي جاحدا أو مستخفا بها أما من لا يصلي تسويفا لها ورجاء أن يتوب في المستقبل مع إيمانه بوجوبها فقد اختلفوا فيه .

﴿ (١) أبرز مظاهر التكذيب بالدين زجر اليتامى وظلمهم ومنع المساكين وحرمانهم ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين﴾؟!

﴿ قرن الله بين جريمتي الإعراض عن طاعته ومنع العون والمساعدة لعباده ﴿فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون﴾؟!

﴿ الغاية من الدعوة إلى الإسلام إسعاد الإنسان في الدنيا بالإيمان والعدل والإحسان وإسعاده في الآخرة بالجنة والرضوان ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ (٢) .

﴿ عاب القرآن على المشركين صلاتهم ودعاءهم عند البيت مع سهوهم عن حقيقة الصلاة ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ حيث لا تحملهم صلواتهم على عون المحتاجين .

﴿ نعى القرآن على الملأ في مكة تظاهرهم رياء بخدمة البيت والحجيج مع ظلمهم للضعيف واليتيم والفقير والمحتاج ﴿الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون﴾؟!

﴿ استشكل بعض الأخوة تغريدات اليوم حول سورة الماعون ورجح أن المقصود بآية ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ الذين هم يراءون﴾ المنافقون لا المشركون .

﴿ والصحيح أن سورة الماعون مكية على قول الجمهور وهو الراجح والنفاق لم يظهر إلا في المدينة فالمراد بقوله ﴿يراءون﴾ المشركون وليس المنافقين .

﴿ وقد وصف القرآن المشركين بالرياء في قوله ﴿كالذين خرجوا من ديارهم بطرا وراء الناس ويصدون عن سبيل الله﴾ (٣) وهم مشركو قريش يوم بدر بلا خلاف .

(١) مجموعة تغريدات إضافية عن تفسير السورة .

(٢) يونس : ٢٥

(٣) الأنفال : ٤٧

❁ وعاب القرآن حال المشركين في سورة الفجر وهي مكية ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين﴾<sup>(١)</sup> وهو كوصفهم في سورة الماعون.

❁ ذكر القرآن سبب عذاب المشركين في سورة المدثر وهي مكية ﴿قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين... وكنا نكذب بيوم الدين﴾<sup>(٢)</sup> كما الماعون.

❁ ونفي الصلاة عن المشركين في المدثر لا ينافي إثبات صفة المصلين لهم في سورة الماعون إذ صلاتهم كالعدم لأنهم ساهون وغافلون عن حقيقتها.

❁ أثبت القرآن بأن مشركي العرب كانوا يصلون ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾<sup>(٣)</sup> فهم ساهون وغافلون عن الصلاة التي تثمر إيماننا ورحمة.

❁ فسورة الماعون مكية عابت على قريش تظاهروا بخدمة البيت الحرام وإطعام الحجيج وسقايتهم رياء وطلباً للجاه لا إيماناً بالله واليوم الآخر.

❁ فمع ما كانوا ينفقون من أموالهم في عمارة البيت الحرام كانوا يحرمون اليتامى ويحقرون المساكين والضعفاء ويمنعون الماعون فلم تنفعهم صلاتهم.

❁ جاءت سورة الماعون بعد سورة قريش لبيان حالهم في كفرهم نعمة الله عليهم الذي أطعمهم من جوع فلم يحضوا على طعام المسكين ولم يبذلوا الماعون.



---

(١) الفجر : ١٧ - ١٨  
(٢) المدثر : ٤٣ - ٤٤ - ٤٦  
(٣) الأنفال : ٣٥

## نظرات قرآنية حول سورة العصر

- ❁ قال تعالى ﴿والعصر﴾ فأقسم سبحانه بالزمن وهو الظرف الذي تجري فيه الوقائع والأحداث وتجري بجريانه وتنقضي بانقضائه فما من حدث وفعل ينفك عن الزمن.
- ❁ والعصر يطلق على الزمن كله وعلى بعض الزمن فكل الزمن يستغرق وجود الإنسان منذ أول البشر إلى آخرهم وما وقع منهم من أفعال وما جرى بينهم فهو عام.
- ❁ وقد يراد بالعصر بعض الزمن وهو زمن كل إنسان منذ أن يولد إلى وفاته وما جرى فيه ومنه من أفعال وأحداث وكلاهما مراد في سورة العصر الإنسان والناس.
- ❁ والافتتاح بالقسم أسلوب قرآني معجز والمقصود منه لفت الأنظار إلى ما في المقسم به من الآيات والشاهدات على وحدانية الله وقدرته وصفاته جلاله وجماله.
- ❁ وقوله ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ فقطعت الآية بأن الإنسان فردا كان أو جنسا في خسر ونقص وهو حق فالإنسان منذ يولد وعصره وزمنه في نقص حتى يفنى ويموت.
- ❁ وكذا الإنسانية منذ وجدت وهي في نقص حتى يفنى كل جيل وعصره إلى أن يفنى الوجود الإنساني وينتهي زمنه بانتهاؤه مدته وقيام الساعة فثبت أنه في خسارة.
- ❁ ثم استثنى فقال ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وذلك لأن العصر المحدود في الدنيا امتد لهم في الآخرة في عصر ممدود لا نهاية له وهو الخلود.
- ❁ فكل إنسان في خسر ونقص منذ أن يولد إلى أن يموت إلا من استثمر عصره وعمره المحدود بالإيمان والعمل الصالح من أجل العصر والعمر الممدود في الآخرة.
- ❁ وجمعت الآية أربعة أعمال هي سبب الخلود:
- ❁ ١ - الإيمان إذ به يتجاوز الإنسان عالم المادة المحدود الفاني إلى عالم الغيب حيث يمتد له الوجود بلا حدود.
  - ❁ ٢ - والعمل الصالح حيث يتحقق به الخلود الدنيوي بالذكر الجميل قبل وبعد الموت والجنة والخلود يوم القيامة كما قال ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾<sup>(١)</sup>.

(١) النحل : ٢٣

٣- والتواصي بالحق إذ الإنسان مدني واجتماعي بطبعه وهو في حاجة من يشد أزره ويوصيه بالحق ويعينه عليه ويذكره إذا نسي ويحثه إذا كسل ويؤنسه بوحشته.

٤- ثم التواصي بالصبر وهو كما قال تعالى ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾<sup>(١)</sup> فكم من عالم بالحق لا يقوم به بسبب فقدته للصبر على تبعات القيام به.

❁ والصبر عبادة نفسية يستصحبها المؤمن في جميع حالاته فلا بد له من الصبر على أداء الأمور والصبر على ترك المحظور والصبر على القضاء المقدور.

❁ فلا ينفع إيمان بلا عمل صالح بل لا حقيقة لدعوى الإيمان دون العمل الصالح ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة الحق والتداعي إليه ولا يدوم إلا بالصبر عليه.

❁ ولهذا قال الشافعي لو لم ينزل على الناس إلا سورة العصر لعفتهم في بيانها لحقيقة حياتهم وأسباب نجاتهم ونحن أحوج ما نكون اليوم للتواصي بها.

❁ فكل جزء من الزمن والعمر يفوت العبد دون زيادة إيمان أو عمل صالح أو قيام بالحق وتواص به أو صبر عليه أو مباح يعين على شيء من ذلك فهو نقص وخسر.



(١) الزمر : ١٠

## نظرات قرآنية حول سورة البلد

❁ من يتدبر القرآن حق تدبره يعرف حقيقة الإسلام وغايته ومكانة الإنسان في خطاب القرآن كما في سورة البلد وهي مكية حيث جعل النجاة من العقبة بالصدقة.

❁ فقال ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ أي في مشقة وابتلاء: مشقة الصبر على الابتلاء القدرى ومشقة الصبر على الابتلاء الأمري ﴿ليلوكم أيكم أحسن عملاً﴾<sup>(١)</sup>.

❁ فالعبد لا بد له من فعل المأمور وتجنب المحظور والصبر على المقدور وكل ذلك فيه مشقة على النفس وكل إنسان لا ينفك يجد هذا الكبد في حياته كلها.

❁ وهذا الكبد والمشقة أوضح دليل على افتقار المخلوق للخالق وحاجته إليه فلا يستغني الإنسان عن الله طرفة عين فهو يتقلب بين نعمه ونقمه وإن جحد وكفر.

❁ ثم عدد الله على الإنسان نعمه، نعمة البصر والنطق والعقل ثم حثه على استخدام هذه النعم بالنجاة من العقبة ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أي تجاوزها ونجا.

❁ ثم بين الله هذه العقبة التي تحتاج إلى اقتحام للوصول إلى بر الأمان ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ فقال ﴿فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ فبدأ بالإحسان.

❁ فجعل فك رقبة الأسير والعفو عنه وتحرير الرقيق أول الأعمال الصالحة للنجاة يوم القيامة كما قال ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ وقد بدأ بفك الرقبة قبل الفقراء واليتامى لشدة ضعف الأسير الموثق والرقيق المملوك وافتقارهم إلى العون والمساعدة ولتطلع الإسلام للحرية والتحرير.

❁ وجاء في الحديث (فكوا العاني وأطعموا الجائع)<sup>(٣)</sup> ولهذا كان من أشرف الأعمال الجهاد في سبيل إطلاق الأسارى سواء من يد العدو الكافر أو السلطان الجائر.

(١) الملك : ٢

(٢) الإنسان : ٨

(٣) رواه البخاري.

❁ ثم ثنى القرآن ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة﴾ فهذا سبيل اقتحام العقبة يوم القيامة والنجاة من العذاب والمشقة.

❁ وقيد الإطعام بأن يكون في أيام الشدة والعسر والسغب لا في أيام الرخاء وهذا في حق الطاعم وفي حق المطعم فكلما كانا في شدة وعسر تعاضم بذلك الأجر.

❁ وقدم إطعام اليتيم ذي القربى على من سواه لعظم حقه على ذوي قرباه ولشدة حاجته إلى من يرعاه وفي رعايتهم له صدقة من جهة وصلة رحم من جهة أخرى.

❁ ولهذا جاء في الحديث (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين)<sup>(١)</sup> وأشار بأصبعيه الشريفتين لبيان عظم أجر كفالة اليتامى ورعايتهم والإحسان إليهم ورحمتهم.

❁ ثم ثلث بالمساكين ﴿أو مسكينا ذا متربة﴾ وهو الفقير شديد الفقر والفاقة الذي لا يجد إلا افتراش التراب فجعل إطعامه من أسباب النجاة وتجاوز العقبة.

❁ واشترط لهذه الأعمال الصالحة شرط آخر ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة. أولئك أصحاب الميمنة﴾ وهم أصحاب السعادة والفوز.

❁ فدل على أسباب النجاة والنجاح والفلاح وهي:

**الأول:** الإيمان وأن يكون الإحسان إلى الخلق لوجه الله ورجاء رحمته يوم القيامة لا للشهرة والرياء والمنة.

**والثاني:** الصبر على ما في هذه الأعمال الصالحة من مشقة إذ الإطعام في أيام الشدة والبذل في أيام المجاعة عسير على النفس لا تقوى عليه إلا بالصبر.

❁ والتواصي بالصبر درجة أعلى من الصبر نفسه فهو حث للآخرين على الصبر حين فعل الأعمال الصالحة وحثهم على عدم الجزع مما فيها من مشقة وبذل وعناء.

❁ والتواصي تفاعل يدل على الإيجابية في المجتمع فيجد الإنسان حين قيامه بالإحسان للخلق والجهد في سبيلهم من يعينه على ذلك ويحثه على الصبر عليه.

(١) رواه البخاري.

❁ وهذا بخلاف المجتمعات السلبية التي تشيع فيها الروح الانهزامية والانانية فلا تقوم بمعروف ولا تتصدى لمنكر ولا تعين من يقوم بذلك بل قد تسخر منه.

والثالث: التواصي بالرحمة وهي أشد درجات الإحسان بأن يكون المؤمنون جميعا يدا واحدة يعين بعضهم بعضا على الإحسان إلى الخلق وعلى الرحمة بهم.

❁ والمرحمة مفعلة تدل على شيوع الرحمة في المجتمع حتى لا ترى فيه إلا راحما ومرحوما ورحما معظما وأراحاما موصولة ورحمة تعم الجميع وينعمون بها.

❁ والمرحمة هي الغاية من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(١)</sup> فهو نبي الرحمة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾<sup>(٢)</sup> وكل رحمة هي من الله.

❁ وليس الإحسان إلى الخلق والرحمة بهم خاصا بالمسلمين بل هو عام لكل إنسان بل وللحيوان كما في الحديث (في كل ذي كبد رطبة أجر)<sup>(٣)</sup> فالرحمة بالعالمين.

❁ والعموم والإطلاق في الآية ﴿فك رقبة. أو إطعام﴾ دليل على دخول كل إنسان في هذا الخطاب.

❁ ولهذا سأل ابن حزام النبي عن أعماله الصالحة بالجاهلية فقال يا رسول الله: رأيت أعمالا كنت أعملها في الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم فقال له: (أسلمت يا حكيم على ما سلف لك من خير)<sup>(٤)</sup> فلا يضيع عند الله.

❁ فتدبر سورة البلد وهي مكية كيف دعت أهل الجاهلية إلى العتق والإطعام والإحسان إلى الخلق والرحمة بالأسير والرقيق واليتيم والفقير والتواصي بهم.

❁ فهذه من غايات الإسلام التي أولاها القرآن عناية عظيمة وما أحوج الأمة اليوم للتواصي بهذه المعاني وإشاعة المحبة والرحمة والإحسان لبني الإنسان.

(١) الأنبياء : ١٠٧

(٢) النساء : ١

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.



## تأملات في سورة الروم

- ❁ مالمقضية التي جاءت سورة الروم لمعالجتها وتفصيل القول فيها؟ ومالمسائل التي تحدثت عنها أكثر آيات السورة؟ السؤال يحتاج تدبر من أهل التفسير.
- ❁ إنه لا يمكن معرفة القضية الرئيسية التي جاءت السورة لمعالجتها ما لم تعرف أحوال الأمم والأديان قبل الإسلام خاصة الروم التي افتتحت السورة بخبرهم.
- ❁ السورة مكية من ستين آية لم تترك قضية حارت الفيلسفة اليونانية بالخوض فيه من قضايا الطبيعة وأصل الوجود والإنسان وبدايته ونهايته إلا وأجابت عنه.
- ❁ والسورة كلها في شأن الروم وما هم عليه وما كانوا عليه من آراء وفلسفات وأديان فقد افتتحت السورة بقوله تعالى ﴿ألم . غلبت الروم﴾.
- ❁ ثم قال ﴿يعظمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وهذه حال الروم وحضارتهم وما كانوا عليه آنذاك فعلمومهم عن مظاهر الدنيا وزينتها.
- ❁ ثم أمر القرآن بالببدء بالتفكر في النفس وفي الوجود وهي القضية التي مازالت الفيلسفة اليونانية - التي هي أصل ثقافة الروم - لم تحسمها.
- ❁ فقال تعالى ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكارفون﴾.
- ❁ فقد أجاب عن أصل الوجود وأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وأنه خلقه بالحق ولغاية وحكمة لا عبثا ولا سدى وأن له نهاية وأجل.
- ❁ فقد ظلت قضية الوجود وبدايته ونهايته أم القضايا في الفكر الإنساني والفيلسفة اليونانية التي ورثها الروم.
- ❁ ثم أمرهم أن ينظروا ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾.

- ❁ فقد كان الرومان آنذاك أكثر أُمم الأرض عمراناً ومع ذلك كان قبلهم عاد وثمود وفراعنة مصر الذين كانوا أشد قوة وآثاراً في الأرض فلم يبق منهم أحد.
- ❁ فلم يبق من تلك الأمم أحد بعد أن أرسل الله لهم الرسل والبيانات فعصوا وكفروا وظلموا أنفسهم ثم قال ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾.
- ❁ وهذه هذه القضية التي طالما دار حولها الجدل وهي قضية قدم العالم التي قال بها أكثر أرباب الفلسفة حيث نفوا أن يكون الخلق قد كان من العدم.
- ❁ فأخبر الله أنه الذي يبدأ الخلق من لا شيء وهو على كل شيء قدير ثم يفنيه ثم يعيده كما خلقه أول مرة وهو أهون عليه ثم إليه ترجعون وتعودون.
- ❁ ثم قال وهنا استخدم معهم القياس المنطقي ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾.
- ❁ فاستخدم معهم القياس التمثيلي والشمولي الذي تقوم عليه نظرية المعرفة العقلية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو.
- ❁ فالحس يشاهد أحداث جزئية كثيرة يخرج فيها الحي من الميت كما يخرج الطير من البيضة وكما تنبت الأرض زروعها وثمارها وتتحقق فيها الحياة بعد الممات.
- ❁ فقياس تمثيل الغائب على المشاهد يقضي بأن هذا ما سيحدث للإنسان بعد الوفاة ﴿وكذلك تخرجون﴾ أي فكذلك خروجكم بعد موتكم وبعثكم ونشوركم كحياة الأرض.
- ❁ ثم تحدث عن أصل خلق الإنسان الذي حارت فيها الفلسفة ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ وهي النظرية التي توصلت لها الفلسفة ظناً.
- ❁ فجاء القرآن ليؤكد لها فقد خلق الله آدم أول البشر من تراب الأرض ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾<sup>(١)</sup>.

(١) طه : ٥٥

- ❁ قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ فالملايين من البشر على مر العصور يموتون ويعودون إلى التراب ثم يولدون وينتشرون.
- ❁ ومن تدبر هذه الآية وحدها علم يقينا أن أصل الإنسان من تراب ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾<sup>(١)</sup> فالأجساد تعود للتراب من حيث تأتي.
- ❁ وقد جعل الله آيته الباهرة وحجته الظاهرة أنه خلق الإنسان من تراب جامد فإذا هو من روح ولحم ودم وعظم وبشر يتكاثر وينتشر ويفكر.
- ❁ وأجاب عن سر الثنائية والذكر والأنثى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.
- ❁ والتفكر وحده في هذه الرحمة والمودة التي يجعلها الله بين الزوجين حتى تكون المرأة الغريبة البعيدة بعد الزواج أقرب من نفسه آية لله في الخلق.
- ❁ وانظر كيف يعطف الرجل القوي على المرأة الضعيفة وكيف يسعى في قضاء حاجتها ويكدر من أجلها وقد لا تكون جميلة ولا مقبولة إلا في عين زوجها بالمودة.
- ❁ وانظر كيف تحب المرأة الجميلة زوجها وتغار عليه أشد الغيرة وقد لا يكون جميلا ولا مقبولا إلا في عينها بالمودة والرحمة التي يلقياها الله بينهما.
- ❁ وذلك كي تستقيم الحياة في الأرض ويتحقق الانتشار للبشرية كي تعمر الأرض وتستخلف فيها بهذه الثنائية وبهذه المودة والرحمة في الأسرة أساس المجتمع.
- ❁ فليست المرأة شيطانا ولا شرا كما كنت تنظر إليها الفلاسفة القديمة بل هي والرجل كلاهما أصل الحياة فهما نفس واحدة وعنصر واحد وليست مخلوقا آخر.
- ❁ ثم أجب عن سبب اختلاف أجناس البشر ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ فأبطل العنصرية والعصبية.

(١) طه : ٥٥

- ❁ فالإنسان أخ الإنسان مهما اختلفت اللغات والألوان ولا فرق بين أبيض وأسود ولا بين عربي وأعجمي ورومي وهي من القضايا التي ضلت فيها العقول.
- ❁ وما زالت الإنسانية تعيش العنصرية بكل أشكالها بسبب اختلاف اللون واللسان ومازالت نظرية تفوق الجنس الأبيض تتحكم في الواقع السياسي الدولي.
- ❁ فالبشرية كلها تعود إلى أصل إنساني واحد مع اختلاف ألوانهم وألسنتهم كما أن الأرض واحدة ومن مادة واحدة ومع ذلك ففيها جبال مختلف ألوانها.
- ❁ فقال تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء...﴾<sup>(١)</sup> وهذا هو القياس المنطقي الذي تقضي به العقول ويسلم به العلم.
- ❁ فهذا هو القياس الشمولي الذي صار أساس المعرفة العقلية في الفلسفة اليونانية وورثته عنه الرومانية فاحتج القرآن عليهم بما هو دليل قطعي عندهم.
- ❁ فكما أن مادة المطر واحدة هي الماء وينبت أشجارا وأزهارا مختلفا ألوانها وكما أن مادة الأرض واحدة وهي التراب وتتشكل منه جبال مختلف ألوانها.
- ❁ وكما أن الأنعام والدواب كل نوع من أصل واحد ويوجد فيها ألوان مختلفة فكذلك الإنسان من أصل واحد ثم تكاثر وتناسل واختلفت ألوانهم باختلاف أماكنهم.
- ❁ وختم الآية ﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ إشارة وتنبيه على أن هذه الحقائق لا ينكرها عالم يعرف وجه النظر والاستدلال خاصة أرباب الفلسفة اليونانية.
- ❁ ونكمل غدا بإذن الله ما في سورة الروم من آيات تخاطب العقول وسنتحدث عن مصادر المعرفة فيها إذ هو المقصود من النظرات.
- ❁ نعم النبوءة فيها والبشارة التي تحققت خلال بضع سنين بنصر الروم على الفرس دليل على صدق النبي ومعجزة خبرية له صلى الله عليه وسلم.

(١) فاطر : ٢٧ - ٢٨

(٢) جواب الدكتور على سؤال: هل ثمة دليل على نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم بأول خمس آيات منها؟

❁ ونكمل معكم النظرات في سورة الروم ومصادر المعرفة الإنسانية فيها ومعالجتها للقضايا التي أشغلت الفكر الفلسفي الإنساني وحاول الإجابة عليها.

❁ وتحدثت السورة عن الظواهر الطبيعية التي حاول الإنسان تفسيرها ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾.

❁ فالنوم والاستيقاظ المتكرر منكم بالليل والنهار وهو شبيه بالموت والحياة كل ذلك دليل قاطع على قدرة الله جل جلاله على إحيائكم بعد موتكم بالقياس.

❁ فالليل والنهار في دوران دائم وأنتم في حال موت وحياة متكررة فالقياس العقلي يقضي بإمكان البعث بعد الموت كما يشاهد بالحس الاستيقاظ بعد النوم.

❁ وفي قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ تأكيد على السمع كمصدر حسي للمعرفة إلا أنه قد تتعطل الاستفادة منه كما سيأتي في بيان أسباب ذلك.

❁ وقد ذكر السمع لما ذكر الليل والمنام فيه لكون حاسة السمع أكثر استعمالاً في الظلام من حاسة البصر التي لا ترى إلا بوجود النور.

❁ ثم نبه على البصر كمصدر من مصادر المعرفة الحسية التي هي أصل لحصول المعرفة العقلية ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ فربط بين البصر والسمع من جهة والعقل من جهة أخرى لأنهما أساس المعرفة.

❁ فالعقل في إدراك المعاني غير الحسية له بصيرة يدرك بها المعقولات كما يدرك السمع والبصر الحسيات وقد تتعطل الاستفادة منها كلها كما سيأتي بيانه.

❁ فاستدل لهم بما يشاهدون ويرونه بأبصارهم من البرق حيث تصطك الأجرام السماوية وما يصحبه من رعد قاصف وضوء ساطع يخطف الأبصار بسبب لهم الخوف والهلع.

❁ وما يرجونه من الخير والطمع بالنماء والإنبات والحياة وما ينزل من السحاب من ماء يحيي الأرض بعد موتها كل ذلك أدلة على إمكان الحياة بعد الموت.

- ❁ ثم نبه على أن هذه كلها أدلة لقوم يعقلون بما يشاهدونه فيجعلون من إدراكهم لكل هذه المدركات الحسية الجزئية مقدمات يستنتجون منها أحكاما عقلية.
- ❁ نكمل معكم نظرات في سورة الروم وما عالجتة من قضايا حار فيها الفكر الإنساني من خلال استشارة مصادر المعرفة الإنسانية للبحث والنظر والتفكير.
- ❁ ثم قال تعالى في سورة الروم عن بدء الخلق ﴿وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾.
- ❁ وهنا أكد لهم بأن قياس الأولى يقتضي عقلا أن يكون من بدأ الخلق قادرا على إعادته بعد فناءه والإعادة أهون عليه بالنسبة لكم وبحسب أحكامكم العقلية.
- ❁ أما الله جل جلاله فله المثل الأعلى فكل شيء هين عنده لا يحتاج منه الخلق والإيجاد والإعدام والإفناء إلا كلمة كن فيكون.
- ❁ ثم نبه على أن كل هذه الآيات الباهرة إنما تصدر عن الله العزيز القاهر القوي القادر على كل شيء والحكيم الذي لا يصدر عنه شيء إلا لغاية وحكمة.
- ❁ فأحكام العقل تقضي بأن كل هذه الأحداث البديعة الصنع الرائعة الإتقان لا يمكن أن تصدر عن صدفة ولا عن عبث بل عن قادر عليم ومريد حكيم ورحمن رحيم.
- ❁ وهو ما توصل له أرباب الفلسفة الإلهيين بدلالة العقل بمشاهدة آياته الحسية في هذا الوجود الدالة على قدرته وحكمته فالصنعة تدل على من أبدعها عقلا.
- ❁ وقد أكدت السورة أن الله المثل الأعلى فكل صفة كمال في المخلوق المصنوع فالله الذي خلقه وأبدعه أولى منه بها عقلا وكل صفة نقص فالله أجل وأعلا.
- ❁ إذ لا يتصور عقلا أن يكون المخلوق أكمل ممن خلقه وأبدعه وكل صفة نقص في المخلوق فالله الذي خلقه أولى بالتنزيه عنها وعن كل ما يخطر بالأذهان.
- ❁ فإذا كانت العقول والأبصار لم تستطع أن تحيط علما وفهما بنفسها التي بين جنبها ولا بما حولها من الوجود الذي فوق قدرة الخيال العقلي فكيف بالله.
- ❁ فالله أعلا وأجل أن تدركه حواس البشر أو يدركه العقل فهذه المصادر عجزت عن إدراك بعض مخلوقاته التي يشاهدونها فضلا عما لم يروه كيف بالله الخالق.

❁ ثم نعى القرآن على المشركين ضلالهم واضطرابهم وبين سبب ذلك فقال ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾.

❁ فاتباع الأهواء والظنون بلا علم ولا برهان هو سبب عدم إدراك عقولهم لهذه الحقائق لا في عدم إفادتها بذاته للعلم وكم من عالم بالحق أعرض عنه لهواه.

❁ وليس معهم من العلم ما يشهد لهم على أنهم على حق لا المعرفة الحسية ولا المعرفة العقلية ولا المعرفة الفطرية البديهية ولهذا أضلهم الله بأهوائهم.

❁ ثم قال تعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

❁ فسورة الروم ستون آية وجاءت الآية الثلاثون واسطة عقد السورة لتحجج عليهم بأقوى الحجج وأقربها إلى النفس ألا وهو دليل الفطرة ﴿فطرة الله﴾؟

❁ بعد أن أثبت ربوبيته وألوهيته بالأدلة الحسية التي يشاهدونها بأبصارهم ويدركونها بأسماعهم والمعرفة العقلية اليقينية التي يستنتجونها بعقولهم.

❁ وهذا الاستدلال بالفطرة غير الاستدلال بالحسيات والعقليات بل بشيء أوضح دليلا وأقرب سبيلا لكل إنسان وأشد رسوخا في نفسه وشعوره ووجدانه مما سواه.

❁ وهو جزء من خلقه الذي خلقه الله عليه وهو الفطرة التي لا تستطيع النفس البشرية بطبيعتها وسجيتهما دفع الضرورة التي تفرض عليها الإيمان بوجود الله.

❁ قال الله ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾.

❁ وهذا دليل الاضطرار والافتقار الذي يؤكد دليل الفطرة وهو حاجة الخلق إلى ربهم وهو دليل عجزهم وضعفهم وفقرهم إليه وهو دليل ثبت لهم بالتجربة.

❁ وكم رأى الناس ضعفهم حين ينزل بهم المرض والموت والألم والضر حتى يصبح أعتاهم على الله وأجروهم عليه أضعفهم وأفقرهم إليه فهو فقر ذاتي طبيعي.

❁ ثم قال تعالى مؤكدا ربوبيته لهم ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميّتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

❁ فأضاف الله جل جلاله لنفسه الخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم وجه سؤال إنكار هل من معبوداتهم من يفعل شيئا من ذلك ليستحقوا عبادتهم ودعاءهم؟

❁ ثم دعاهم لتوحيده ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون . من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾.

❁ فأخبرهم أن بعد هذه الحياة يوم قيامة وبعث وحساب وجزاء وسيجازي كل إنسان عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر لتتحقق الحكمة من الخلق ويتجلى العدل.

❁ وهذا دليل عقلي منطقي فإن حدوث كل هذه الحادثات لا يمكن أن يكون بلا محدث عقلا ولا يعرف أحد نسبها لنفسه إلا الله وحده ولم ينازعه أحد في ذلك.

❁ إذ كل هذا الوجود المخلوق إما أنه أوجد نفسه وهذا مستحيل عقلا أو حدث صدفة بلا موجد وهذا مستحيل عقلا فلم يبق إلا احتمال أن هناك من أوجده وخلقها.

❁ ولم يدع أحد أنه خالق له إلا الله الذي يقطع العقل بأنه واجب الوجود بذاته ويستحيل أن يكون مخلوقا وإلا احتاج إلى خالق وهو ما حكم العقل ببطلانه.

❁ وقال في آية ﴿أم خُلِقُوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾<sup>(١)</sup> وهي غاية الإيجاز والإعجاز البياني والمنطقي فلا الإنسان خلق نفسه ولا يتصور حدوثه بلا خالق.

❁ ثم تحدثت عن الآيات الكونية والظواهر الطبيعية على نحو لا يكاد يوجد إلا في هذه السورة فتحدثت عن ظاهرة الرياح وعن البحار وعن السحب والأمطار.

❁ وعن طبيعة خلق الإنسان ومراحل نموه وبداية الوجود ونهايته وكل ذلك مما حاولت الفلسفة اليونانية بل وكل الفلسفات معرفته ومعرفة علله وأسبابه.

(١) الطور : ٣٥



❁ وقد ختمت الروم بـ ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾.

❁ فلم يبق حجة حسية ولا عقلية ولا فطرية ولا نقلية ولا تجريبية إلا واحتج عليهم بها في إثبات ربوبية الله وتوحيد ألوهيته ولن تغني مع من جحد وكفر.

❁ وفسر سبب ذلك الإعراض وعدم الاستفادة منها بقوله ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾.

❁ فهم يجحدون بكل هذه الآيات لكونهم يتبعون أهواءهم وظنونهم فلا هم يعلمون الحق من جهة ولا هم يوقنون بما عندهم فهم في شك وحيرة وريب من جحودهم به.

❁ وكذلك هم في شك من هذه الآيات والحجج البيئات الحسية والعقلية والفطرية وفي شك من الحق الذي جاءتهم به الرسل فكان النتيجة تعطل قدرتهم الإدراكية.

❁ فالطبع على القلوب هو الختم عليها بالإغلاق فلا تستطيع القلوب والعقول إدراك الحق مهما كان ظاهرا جليا حين تصبح الأهواء والظنون مصادر علومها.

❁ فهذه السورة لم تترك قضية مما حاولت الفلسفة الخوض فيه من قضايا الطبيعة وما وراء الطبيعة وأصل الوجود إلا وأجابت عنه بأبلغ عبارة وأدق إشارة.

❁ لتؤكد بأن موضوع الإيمان بالله هو أظهر الحقائق الإنسانية وأوضحها ولا يمكن تبديلها ولا تغييرها إلا حين يطبع الله على قلب الإنسان بإعراضه.

❁ وحين يعرض الإنسان عن الحق ويتبع هوى نفسه وظنه لا يمكن له أن يهتدي لا بالفطرة وندائها الدائم في نفسه ولا بالحس ومدركاته ولا بالعقل وأحكامه.

❁ ولهذا يجد الإنسان حين يكبر سنه وتضعف الأهواء في نفسه ويدنو أجله أنه صار أكثر استعدادا للاستجابة للفطرة ونداء العقل فيبدأ رحلة البحث عن الله.

❁ وهو أمر مشاهد عند كل أهل الأديان من بني الإنسان فرحلة العودة إلى نداء الفطرة تكون أظهر حين تضعف شهوات النفس وحظوظها عند المرض أو كبر السن.

- ❁ ولهذا أشارت السورة لذلك ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ فمهما استكبر الإنسان فمصيره للضعف والموت.
- ❁ لقد تضمنت سورة الروم وحدها كل مصادر المعرفة الصحيحة واستدللت بها على إثبات قضايا الغيب والإيمان بالله والبعث والجزاء فجاءت على النحو التالي:
- ❁ أدلة العقل البديهية فالعقول تقضي أنه لا حركة في الوجود بلا سبب موجب لها ولا حدوث بلا محدث فكيف هذه الأجرام السماوية العظيمة والأرضية الجسيمة؟
- ❁ وقد احتجت السورة بحجج العقول في الخلق والرزق والتصريف الوجود وفق سنن ونواميس تدل على علم من خلقها وقدرته وحكمته ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.
- ❁ واحتجت بدليل العقل على نفي الشريك معه في الخلق والتصريف وفي استحقاق العبادة وحده لا شريك له ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء... لقوم يعقلون﴾.
- ❁ إن كل ما في السموات والأرض من مخلوقات أدلة يقينية قطعية ﴿لقوم يوقنون﴾<sup>(١)</sup> دالة على وجود الله لمن تدبرها وتفكر فيها واستخدم عقله ﴿لقوم يعقلون﴾.
- ❁ إذ حركة الليل والنهار بكل هذه الدقة والنظام وحركة الرياح والسحاب والأمطار كلها تسير على وتيرة واحدة من الانتظام لتدوم الحياة على هذه الأرض.
- ❁ كل ذلك على نحو تنتفي معه احتمالية الصدفة انتفاء قطعا يقينيا بدلالة العقول لتؤكد أنها مخلوقة بإرادة خالق قدير عظيم ومدبر حكيم وخبير عليم.
- ❁ وإثبات هذا الاعتقاد هو الأصل في هذا الباب إذ كثير من الناس قديما - بل أكثر أهل الأرض اليوم- ماديون دهيون لا يؤمنون بوجود الخالق جل جلاله.
- ❁ كما حكاه القرآن عن الدهريين الماديين ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الجاثية : ٤

(٢) الجاثية : ٢٤

❁ ولهذا حاجج القرآن هؤلاء الدهريين الماديين وضرب لهم الأمثال ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾<sup>(١)</sup>.

❁ وهذا تقسيم عقلي فإنهم أمام ثلاث احتمالات:  
الأول: إما أن يدّعوا بأنهم خلقوا أنفسهم وأوجدوا ذواتهم من العدم إلى حيز الوجود وهو ما لا يدعونه.  
والثاني: أن يزعموا بأنهم خلقوا من غير شيء فجأة وصدفة وهو ما لا تقره العقول بدهاة إذ كل موجود له سبب أوجده ولا يتصور عقلا وجود شيء بلا موجد.  
والثالث: أن يزعموا بأنهم خلقوا السموات والأرض وهي أعظم المخلوقات التي يشاهدونها وهذا ما لا يدعونه ولا يدعيه مخلوق أبدا.

❁ فلا هم خلقوا أنفسهم ولا غيرهم فلم يبق أمامهم إلا الإقرار بأن من خلق السموات والأرض هو قطعا من خلق ما في السموات والأرض بما في ذلك الإنسان.

❁ وليس هناك من ادعى هذا الخلق لنفسه إلا الله جل جلاله ولا أحد ينازعه في ذلك ولا يدعونه حتى لمعبوداتهم فصح عقلا أن الله وحده الخالق لهذا الوجود.

❁ ونكمل غدا بإذن الله مصادر المعرفة في سورة الروم والاحتجاج بها على وجود الله وتوحيده إذ لا تستقيم المعرفة قبل استقامة أصله.

❁ وكما احتجت سورة الروم بالأدلة العقلية كمصدر للمعرفة اليقينية على وجود الله وتوحيده كذلك احتجت بالأدلة الحسية كالسمع ﴿لآيات لقوم يسمعون﴾.

❁ واحتج بالبصر ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى﴾ فجعل الحس شاهدا على وجود الخالق بمشاهدة آثار فعله بالخلق.

❁ فإحياء الأرض بعد موتها دليل حسي مشاهد على وجود الله وأنه الخالق بينما جعل الإيمان بإحيائه للموتى يوم القيامة بدلالة القياس العقلي.

❁ واحتج عليهم القرآن في كون الخالق لهذا الوجود واحدا لا شريك له فيه بحجة حسية مشاهدة وذلك بانتظام شأن هذه الوجود وما فيه على سنن وقانون واحد.

(١) الطور: ٣٥ - ٣٦

﴿ فبعد أن فصلت السورة في آيات الله الكونية الحسية تحدثهم ﴾ هل من شركانكم من يفعل من ذلكم من شيء ﴿ وهي أبلغ صيغ النفي فأدنى شيء غير مقدور لشركانهم.

﴿ فانتظام هذه المخلوقات على سنن واحد ووفق نظام كوني واحد دون اضطراب واختلال هو أوضح دليل على وحدة الخالق وعدم التعدد وعدم وجود الشريك له تعالى.

﴿ كما قال ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله﴾<sup>(١)</sup> وقال ﴿وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله﴾<sup>(٢)</sup>؟

﴿ فلما لم يحصل شيء من التنازع في هذا الوجود ولا اضطراب في الخلق ولا ادعى أحد أنه له نصيب وشرك فيه مع الله ثبت أن الله الخالق واحد لا شريك له.

﴿ واعتقاد كونه هو الخالق والرازق وحده لا شريك له يقتضي عقلا شكره وحده لا شريك له والاعتراف له بالربوبية وحده لا شريك له فلا ربوبية للخلق طرا.

﴿ وكما احتجت السورة بمصادر المعرفة الحسية والعقلية في النظر والتفكر في النفس والوجود ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا﴾.

﴿ احتجت سورة الروم كذلك عليهم بالتجربة كدليل معرفي يقيني ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه﴾ وبالفطرة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾.

﴿ كما احتجت عليهم بالأدلة النقلية السمعية ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم﴾ فالأدلة النقلية القطعية تواترت في الدلالة على وجود الله.

﴿ فالأدلة الخبرية من مصادر المعرفة اليقينية حيث أرسل الله رسله وأيدهم بمعجزاته الدالة على صدقهم ليخبروا عن الله ووحدانيته وهداياته للخلق.

﴿ وما من أمة في الأرض إلا خلا فيها رسول ومعها من بقايا النبوة آثارة من علم كإيمان أكثرهم بأنهم أبناء آدم وحواء وأن الله خالقهم... الخ.

(١) الأنبياء : ٢٢

(٢) المؤمنون : ٩١

❁ ولا يتصور تواطؤ البشر على اختلاف أجناسهم وأديانهم على هذه الأخبار المشتركة وتواترها عندهم لولا ثبوتها عن الرسل وكوجود الكتب التوراة والإنجيل.

❁ فتوافرت في السورة كل مصادر المعرفة الإنسانية الصحيحة على وجود الله وخالقيته ووحدانيته عن طريق الفطرة والعقل والحس والوجدان والتجربة والخبر.

❁ وغدا بإذن الله نكمل النظرات في أسباب عدم الاستفادة من هذه المصادر المعرفية الصحيحة كما وردت في سورة الروم وأسباب تعطل الإدراك بها.

❁ ومن أسباب عدم إدراك الحقائق اليقينية والصوارف عن مصادر المعرفة الصحيحة ما يلي:

١ - انغلاق السمع وهو أهم مصادر المعرفة الحسية وتنتقل المعرفة النقلية كلها عن طريقه ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ فكما أن الموتى لم يعد بمقدورهم الاستفادة من السمع بانقطاعهم عن هذا العالم الحسي كذلك من أعرض وسد أذنيه عن سماع الحق فقد أغلق طريق المعرفة ، وقيد ذلك بقوله ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ إذا أن من لم يعرض ولم يدبر فما زالت إمكانية اكتسابه العلم قائمة حتى لو كان أصم فعلا إذ قد يستفيده بالإشارة.

٢ - انغلاق البصر عن المشاهدة الحسية وعماه ﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾ فإن من ضل عن الآيات البيّنات في الوجود وفي نفسه فلا يراها كيف يهتدي؟ وقيدت ذلك بقوله ﴿عن ضلالتهم﴾ فمن ضل الطريق وهو يبصر فإنه لا ينفعه بصره فكم تاه إنسان وضل عن الصواب فلم تمنعه قدراته المعرفية من ضلاله وعماه؟

٣ - انغلاق العقل وتعطل قدرة القلب على عقل الحقائق ﴿ولئن جنتهم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ . فالمكابرة والسفسطة والشك في الحقيقة لا ينفي وجودها ولا يضرها جحودها بل تبقى الحقيقة حقيقة كما هي والمكابرة والوهم كما هما حجابان عن المعرفة.

- ❁ فمع ما جاءهم الرسول من البيّنات والمعجزات ومن ذلك إخباره لهم بنصر الروم القريب والذي تحقق فعلا لم تزد الكافرين إلا كفرا ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾.
- ❁ وتأمل مدى اليقين الذي كانوا عليه مع بطلانه ﴿إن أنتم إلا مبطلون﴾ فهم يجزمون بأن كل هذه الحقائق باطلة والنبي مبطل مع أنه هو الحق وهم المبطلون.
- ❁ ونكمل غدا النظرات في سورة الروم وما فيها من الهدايات المعرفية في حديثها عن الروم ومعارفهم وعلومهم المادية ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾.
- ❁ وقد جاءت السورة بالبشارة بنصر الروم وفي أولها ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ وختمت ﴿إن وعد الله حق ولا يستخفك﴾.
- ❁ وهذا من إعجاز القرآن الخبري فكل ما وعد الله به في القرآن بمكة تحقق كظهور الإسلام وقيام دولته وأحكامه و البشارات و النذارات التي ما تزال تتحقق.
- ❁ وقد بشر النبي في أحاديث بفتح القسطنطينية وهي عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية وحاول المسلمون فلم يفلحوا في أوج قوتهم حتى شك بعضهم بالوعد؟
- ❁ وبعد تسعة قرون من الوعد النبوي وفي حال ضعف الأمة وتشرذمها بعد حروب التتار والصليبيين فإذا الوعد يتحقق على يد أمة أخرى وعلى يد محمد الفاتح.
- ❁ وصدق الله إذ يقول في سورة الروم ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾؟
- ❁ فالوعد الأول في السورة يأتي وأكثر الناس لا يعلمون عنه شيئا ثم بعد الوعد وتأخر وقوعه يصبح محل استخفاف ممن لا يوقنون بهذا العلم حتى يفاجئهم.
- ❁ ولك أن تتخيل حال الأمة وقد سقطت عاصمة الرشيد تحت سنابك خيل المغول واحتلوا العالم الإسلامي وهناك محدث يقرأ على الناس حديث فتح القسطنطينية.
- ❁ كم من الناس سيصدق آنذاك بفتح القسطنطينية التي عجز عنها المسلمون في صدر الخلافة وحال قوة الأمة فضلا عن عصر هزيمتها وسقوطها تحت حكم المغول.

❁ ومع ذلك فرح المؤمنون بنصر الله بعد كل ذلك وفتحوا عاصمة الروم وهو الفتح الأعظم الذي سيورخ الغرب له بنهاية عصر قرونه الوسطى وبداية عصر النهضة.

❁ وأول السورة ﴿غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فيه بشارة ظاهرة بنصرهم على الفرس في عصر النبي وبشارة باطنة بنصر المؤمنين عليهم.

❁ وقد هُزم الروم بأدنى الأرض مرتين وفرح المؤمنون الأولى بفتح الشام وخروج هرقل على يد عمر الفاروق والثانية بفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح.

❁ وبقي الفتح الثالث بإذن الله وهو فتح روما وقد جاء في البشارة نفسها التي بشرت بفتح القسطنطينية كما في مسند أحمد وهي أدنى أرض الروم أيضا.

❁ وكل هذه العواصم التي بشرت بفتحها سورة الروم بالإشارة هي عواصم المسيحية الدينية قبل الإسلام القدس والقسطنطينية وروما فأورثها الله المؤمنين.

❁ نستكمل النظرات في سورة الروم وقد جاءت استفتاحها بقوله تعالى ﴿غلبت الروم﴾ بضم الغين للمبني للمجهول وفي هذا المطلع إشارات ودلالات منها ما يلي:

الإشارة الأولى: عظمة شأن الروم في الأمم والتاريخ الإنساني وأن هذه المكانة ستظل باقية ما بقيت الإنسانية ويؤكد الإشارة تواتر الأخبار النبوية.

الإشارة الثانية: أن الهزيمة قدر الروم كلما ظهروا في أدنى الأرض ﴿غلبت الروم . في أدنى الأرض﴾ وقد غلبهم عمر وصلاح الدين ومحمد الفاتح بعد ظهورهم.

الإشارة الثالثة: أن أيام الروم ستكون دول لهم تارة وللمؤمنين تارة وكلما تعرضوا للهزيمة أعادوا الكرة للظهور في الأرض ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾.

الإشارة الرابعة: أن هزائم الروم ستكون أحداثا كبرى في التاريخ يفرح بها المؤمنون ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ فهو نصر إلهي يقلب الموازين.

❁ وما زالت هزائم الروم في اليرموك وفي حطين وفي فتح القسطنطينية تدرس في الكليات العسكرية إلى اليوم حيث كان النصر للمؤمنين مذملا فوق تصوراتهم.

الإشارة الخامسة: أن شأن الفرس وإمبراطوريتهم لن يكون كشأن الروم يظهر تارة ثم يهزمون وهكذا بل الفرس بعد ظهور الإسلام صاروا جزءاً منه وحمله له.

الإشارة السادسة: أن الروم سيناوعون المؤمنين بالقوة والغلب وأن النصر عليهم لا يكون إلا حين تسمو قيم الإيمان وتعلو قيمة الإنسان لا قيم المادة.

✿ فالروم لا يمثلون دين المسيح وقيم الرحمة التي جاء بها بقدر ما يمثلون قيم الحضارة الرومانية التي تركز على تعظيم شأن القوة والمادة ومتع الدنيا.

✿ فقد تروم النصارى ولم يتنصر الرومان فقد اضطهدوا المسيحية ثلاثة قرون ثم دخلوها وفرضوا الوثنية على أتباعها وقتلوا وحرقوا كل من يقول بالتوحيد.

✿ وهذا النزوع للقوة والوحشية لا يغيره تطوره المادي لهذا ذهب ضحية الحربيين العالميتين بينهم نحو خمسين مليون إنسان منهم وهو ما يحدث في كل حروبهم.

✿ وقد أشارت السورة لماديتهم العلمية ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ ولماديتهم الحضارية والعمرانية ﴿وأثأروا الأرض وعمروها﴾ وغابت قيم الإيمان.

✿ نستكمل معكم نظرات في سورة الروم وما زلنا في أولها ﴿غلبت الروم... سيغلبون﴾ وقد قرنت غلبت بضم الغين وفتحها كما قرنت سيغلبون بفتح الياء وضمها.

✿ وسورة الروم جاءت بالوعد بالنصر والبشارة به ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله... وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ فالقضية هي الوعد بالنصر لا خبر الغلب.

✿ والموعود بالنصر هم المؤمنون كما في التوراة والنبوءات كما في ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾<sup>(١)</sup>.

✿ وكما في وعد الله ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾<sup>(٢)</sup> فهذا هو الوعد الذي سيفرح به المؤمنون وليس خبر غلبة الروم.

(١) الأنبياء : ١٠٥  
(٢) النور : ٥٥



- ❁ وفي استفتاح السورة - وهي مكة حيث كان المؤمنون مستضعفين بمكة - بخبر الروم وفارس والصراع بينهما بشارة لهم بأنه قرب زمن ظهوركم وغلبت الروم.
- ❁ والإضراب والإعراض عن ذكر فارس في السورة سواء غلبت أو غلبت إشارة بأنه لن يكون لهم شأن كما الروم الذين سيغلبون ويهزمون وسيبقى شأنهم قائما.
- ❁ وحين يسمع العربي من ذوي البيان والفصاحة استفتاحا للكلام بقوله ﴿غلبت الروم﴾ يفهم بأن الشأن المهم هو شأن الروم وشأن هزيمتهم فلها تداعياتها.
- ❁ فتلك الهزيمة التي تعرض لها الروم على يد الفرس ثم الفرس على يد الروم جاءت بها النبوءات من قبل كما في رؤيا النبي دانيال كإعلان بظهور الإسلام.
- ❁ فلن يظهر المؤمنون والنبي محمد على العالم كما في النبوءات والبشارات إلا بعد صراع وهزائم بين قرون الشيطان ورموز الطغيان وهما آنذاك كسرى وقيصر.
- ❁ فحين نزلت سورة الروم لم تأت لتخبر بوقوع هزيمة بين الروم والفرس بل جاءت لتبشر المؤمنين المستضعفين بمكة بأن وعد الله أرف ونصركم وفرحكم قد قرب.
- ❁ كما أشارت السورة بأن التغالب بين قوى الطغيان هو بحسب قدراتهم وأخذهم بالأسباب المادية بخلاف نصر الله للمؤمنين المستضعفين فهو نصر إلهي معجز.
- ❁ ولهذا قال ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ عزيز لا يعجزه أحد ورحيم بعباده المستضعفين ينصرهم مع فقدهم للأسباب المادية التي عند الفرس والروم.
- ❁ وقال ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ فالروم والفرس لا يعرفون إلا الأسباب المادية للقوة.
- ❁ فهم لا يعرفون إلا جزء من ظاهر الحياة المادية الدنيوية لا كلها ولا حقائقها ومن ذلك الذي غاب عنهم أن النصر الإلهي غير الغلب والتغالب بالقوة.
- ❁ وهو ما تحقق المستضعفين بمكة فبعد ١٥ سنة فقط من سحب بلال الحبشي برمضاء مكة فإذا هو يشارك في فتوح الشام وهزيمة هرقل وتدمير كسرى وإمبراطوريته.

❁ إنه وعد الله الحق الذي لا يخلف وعده بنصر المؤمنين بغير أسباب مادية ظاهرة فلا مقارنة ولا تكافؤ مطلقا بين قوى المسلمين آنذاك وجيوش كسرى وقيصر.

❁ ولهذا قال روجيه جارودي الفيلسوف الفرنسي الشيوعي المادي سابقا الذي أسلم (لا يمكن تفسير الفتح الإسلامي وسقوط الإمبراطوريتين تفسيراً مادياً).

❁ وسنتعرف غدا بإذن الله على الأسباب غير المادية والسنن والنواميس التي أقام الله عليها الخلق بما لا يدع مجالاً للشك في أن وراء المادة روح تدبرها.

❁ حين أتحدث في التفسير عن الفرس والروم لا أقصد القوميات ولا الشعوب بل أتحدث عن كسرى وقيصر وإمبراطوريتيهما آنذاك مثل ما أتحدث عن جاهلية العرب.

❁ وسبق أن ذكرت في الدرس قبل الماضي بأن الكسروية والمجوسية لن تعود مرة أخرى لأن الفرس دخلوا الإسلام وصاروا جزءاً منه بخلاف الروم سيظلون مناوئيه.

❁ وقد استدلّت سورة الروم على سنن الله في الخلق ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾.

❁ فإذا كان البقاء للأقوى كما يقول الماديون وإذا كانت القوة المادية سبب الظهور فأين عاد وثمود وقوم فرعون وقوم شعيب الخ ما الذي جرى عليهم ولهم.

❁ وما زالت آثار تلك الأمم باقية إلى اليوم تدل على قوتهم ﴿وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أي أكثر مما عمرها الروم الذين اشتهروا بال عمران.

❁ فلا القوة المادية منعتهم ولا الحضارة العمرانية والعلم المادي الذي كانوا عليه منعتهم من عذاب الله حين حل بهم ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾.

❁ ثم أشارت السورة للسنن والنواميس - غير المادية التي يعلمونها ظاهرياً- ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى﴾ فسنن الله لا تحابي أحداً ولا تتخلف أبداً.

﴿فعاقبة السوء وجزاؤه هو السوء والدمار وهي نتيجة عادلة﴾ ليس بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به<sup>(١)</sup> فالسوء عاقبته السوء الشنيع.

﴿فالظلم والطغيان له نهاية السوء والعذاب البئيس في الدنيا والآخرة وذلك من وعد الله الحق﴾ لنهلك الظالمين<sup>(٢)</sup> ولو كانت الحياة مادة وصدفة لما وقع عدل.

﴿فكما احتجت السورة بالآيات الوجودية المادية والظواهر الطبيعية احتجت كذلك بالآيات والظواهر والنواميس غير المادية التي تدل على قوة أكبر تصرفه.

﴿ثم أشارت السورة للفساد في الأرض﴾ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ فيؤمنوا وينزعوا عن فسادهم.

﴿وذكرت السنن الأخرى غير المادية﴾ فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ فالظلم له نهاية والإجرام له عاقبة وعقوبة في الدنيا.

﴿وهذه السنن والنواميس غير المادية يشاهد الإنسان تجلياته في الواقع الاجتماعي فكم قسم الله من ظالم قاهر وكم نصر من ضعيف لا قوة له بالعدل والحق.

﴿فالعدل والحق أسمى من القوة﴾ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ فلا يدركون إلا شيئا يسيرا من ظاهر الوجود المادي وهم في غفلة عن الآخرة.

﴿فلو كان البقاء للأقوى لما نجح الأفغان على ضعفهم وفقدهم أن يهزموا البريطانيين ثم الروس ثم حلف النيتو والعالم معه فلم تنفعهم قوتهم فالحق أسمى.

﴿ولو كان الوجود مادة صماء وصدفة لما تهاوت عروش الطغاة بأيدي المستضعفين في الأرض﴾ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة<sup>(٣)</sup>.

(١) النساء : ١٢٣

(٢) إبراهيم : ١٣

(٣) القصص : ٥

❁ فهناك إرادة أسمى من إرادة البشر وأعدل وأقوى تريد أن تمن وتتفضل بنصر  
المستضعفين والانتقام من الظالمين وفق سنن أيضا لا بد أن يأخذ بها المظلوم.



## نظرات قرآنية حول السور الثلاث (العنكبوت والروم ولقمان)

- ❁ جاءت سورة الروم بين سورتين مكيتين كلاهما بدأت كسورة الروم بالحروف المقطعة ذاتها ﴿ألم﴾ وبين السور الثلاث تلازم في المعنى وكأنها سورة واحدة.
- ❁ فسورة العنكبوت وهي قبل الروم بدأت بالحديث عن الفتنة ﴿ألم﴾. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله... ❁.
- ❁ فهناك سنن ونواميس تجري على أصحاب الدعوات والدعاة إلى الحق والعدل وهو أنهم يتعرضون للمحن من جهة المأ والمفسدين والطغاة المجرمين ليمحصهم الله.
- ❁ وقص الله في سورة العنكبوت قصص المؤمنين مع المأ من قومهم وكيف كانوا يستخفون بهم ويهزأون بهم ويعذبونهم وكيف صارت العاقبة بعد تلك المحن لهم.
- ❁ وضرب الله في هذه السورة مثلا ببيت العنكبوت وهو أوهى البيوت لمن اتخذوا من دون الله أولياء يعظمونهم ويطيعونهم من طغاتهم وكيف يهدمه الله عليهم.
- ❁ فالباطل والطغيان والظلم واتخاذ الطغاة أولياء كل ذلك زائل وإلى زوال وكل بناء عليه كمثل خيوط بيت العنكبوت لا دوام له ولا ثبوت عندما يأتي الحق.
- ❁ وفي العنكبوت ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ بحقائقها الأمور وعواقبها ولا تغرهم ظواهرها مهما بدت قوية أو جميلة بالباطل.
- ❁ وبعد العنكبوت التي تحدثت عن المحن والفتن التي لا بد أن يتعرض لها دعاة الإيمان ودعاة الحق والعدل جاءت الروم بالاستفتاح نفسه لتبشرهم بالوعد.
- ❁ فسورة العنكبوت تتحدث عن حال المؤمنين المستضعفين بمكة والسنن والنواميس التي لا بد منها لتمحيصهم والروم تتحدث عن الجائزة التي أعدها الله لهم.
- ❁ فكما أن الفتن والمحن للمستضعفين تجري وفق السنن الإلهية غير المادية التي لا تتخلف فكذا النصر لهم يجري وفق سنن إلهية لا تتخلف هي أيضا.

❁ وقد تحدثت العنكبوت عنها ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم﴾.

❁ فكانت المحن والفتن وسننها في العنكبوت مقدمة للفرح والنصر وسننه والوعد الحق للمؤمنين في الروم وكل ذلك خلاف ما يعرفه الجاهلون من علم مادي ظاهر.

❁ ثم جاءت بعد سورة الروم سورة لقمان بالاستفتاح نفسه ﴿الم﴾ لتحدث بعد الفتن والمحن والفرح والنصر عن الحكمة في ذلك وعن الهداية والرحمة في الكتاب.

❁ فما يجري في الإنسانية له نواميس فلها ظواهر وبدائيات تغر ولها حقائق ونهايات تفر تدرك بالحكمة لا بالعلم الظاهر ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾.

❁ فجاءت لقمان لتمتن على المؤمنين بالهداية بالقرآن ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين﴾ فمواجهة المحن والفتن تحتاج إلى هدى الله ورحمته.

❁ وكذلك النصر له فتنة قد تؤدي إلى البطر والطغيان فجاءت سورة لقمان بالحكمة ﴿واصبر على ما أصابك... ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا﴾.

❁ ونستكمل النظرات في السور الثلاث العنكبوت والروم ولقمان والربط بين الصبر على الحق والتصديق بالوعد الحق ووصف من تحقق لهم ذلك بدرجة الإحسان.

❁ وقد جاء في سورة العنكبوت التأكيد على الصبر في مواجهة المحن والفتن التي يتعرض لها المؤمنون ﴿نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

❁ فالعاملون يحتاجون لنيل ثمرة جهادهم وعملهم:

١ - إلى الصبر على العمل والصبر على الفتن والمحن التي تعيق عن العمل.

٢ - والتوكل على الله في عملهم وصبرهم.

❁ وكذلك الروم أكدت على الصبر لتحقيق الوعد بالنصر فجاءت آخر آية ﴿فاصبر إن وعد الله

حق﴾ فالوعد غيب مستقبل قد يضعف إيمان الإنسان حين يتأخر فأمرت به.

❁ وفي آخر لقمان أيضا التأكيد على تحقق الوعد ﴿إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ وهي العوائق التي قد تنسيهم الوعد.

❁ فأخر الروم حذرت من استخفاف الذين لا يوقنون أن يكون صارفا عن الإيمان بالوعد الحق ﴿ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾ والعنكبوت حذرت من الغرور بالدنيا.

❁ فالاستخفاف والاستهزاء فتنة خارجية تصدر من أعداء المؤمنين حين المحن وحين تأخر النصر والغرور فتنة ذاتية حين يغتر الإنسان بمتاع الدنيا ولهوها.

❁ وجاءت آخر آية في العنكبوت لتبشر المحسنين بمعية الله وهدايته بعد صبرهم على الحق ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

❁ فكان جزاء إيمانهم وعملهم الصالح وصبرهم عليه وتوكلهم على الله وتصديقهم بالوعد وصبرهم على انتظاره أن تحقق لهم نصر الله وهدايته ومعيته لإحسانهم.

❁ ودرجة الإحسان أعلى درجات الدين وهو أن تعبد الله كأنك تراه والمقصود بالعبادة هنا العبودية لله في كل حياتك وعملك بأن تستحضره في كل عمل وتصديق.

❁ فالهداية توفيق واصطفاء يهدي الله لنوره من يشاء من عباده لا ترجع إلى ذكاء بل إلى عمل صالح وجهاد وصبر وتصديق بالغيب وهذا في قدرة كل إنسان.

❁ وإنما يحرم الهداية من انصرف عنها واستخف بشأنها ومن غرته الحياة الدنيا وفتنتها ومن غره الغرور وما عنده من علم ظاهري لا يهديه للحق والحكمة.

❁ تقبل الله طاعتكم جميعا ونستكمل معكم النظرات في تفسير السور الثلاث سورة العنكبوت والروم ولقمان وما فيها من البشارات والتشريعات والهدايات.

❁ ويظهر الارتباط الموضوعي بين العنكبوت وما فيها من تحذير من الفتن والانحرافات والروم وما فيها من بشارات وآيات ولقمان وما فيها من أحكام وهدايات.

❁ فصلت سورة العنكبوت في صور الفتن والانحرافات التي تتعرض لها المجتمعات ، فبدأت بقوم نوح وطغيانهم الاجتماعي ﴿فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾.

❁ وقد كان ظلم قوم نوح وطغيانهم الاجتماعي يتمثل في قولهم ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ... وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> وهي أسوأ صور الطبقية والفئوية.

❁ فالطغيان الاجتماعي أشد صور ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ببيغيه عليه واستطالته بطبقته أو قوميته أو نسبه أو لونه أو جنسه وهو سبب للعدوان عليه.

❁ وكان المؤمنون بمكة يفتنون في ذلك حيث أبى الملائكة أن يسمعوا للنبي حتى يطرد المستضعفين عنهم وأمره الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ كما ذكرت فتنة الطغيان الديني في قصة إبراهيم وما تعرض له على يد قومه ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ... وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾.

❁ وذكرت فتنة الطغيان الأخلاقي في قصة لوط ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ... وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ووصفتهم بالظلم ﴿إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

❁ ثم ذكرت سورة العنكبوت فتنة الطغيان الاقتصادي في قصة شعيب وأهل مدين ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وهو أشد صور ظلم الإنسان الغني للإنسان الفقير.

❁ وجاء بيان فسادهم في آية ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

❁ وحذرت من فتنة الطغيان المادي والعسكري في قصة عاد كما في آية ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطِشْتُمْ بِطِشْتِمْ جِبَارِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الشعراء : ١١١ - ١١٤

(٢) الكهف : ٢٨

(٣) الشعراء : ١٨٣

(٤) الشعراء : ١٨١ ~ ١٨٣

(٥) الشعراء : ١٢٨ ~ ١٣٠



❁ وكذا حذرت من فتنة ثمود وبطركم كما في الشعراء ﴿وتحتون من الجبال بيوتا فارهين... ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾<sup>(١)</sup>.

❁ ثم حذرت سورة العنكبوت أخيرا من فتنة الطغيان السياسي ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض... فكلا أخذنا بذنبه﴾.

❁ وبالطغيان السياسي تستكمل كل حلقات الفتن والمحن حيث يتحالف الطغيان الاقتصادي القاروني والديني الهاماتي والسلطاني الفرعوني وهو أخطر صور الفساد.

❁ وما زال هذا الثالث الخطر (نفوذ السلطة ونفوذ المال ونفوذ الدين) يتحالف في كل عصر ومصر لتكريس الاستكبار في الأرض على حساب المستضعفين المظلومين.

❁ فلم تترك سورة العنكبوت فتنة ولا محنة قد تتعرض لها المجتمعات الإنسانية إلا وبينتها ولا صورة من صور الانحراف إلا وفصلت فيه لتعد الجيل الإيماني.

❁ فعلى كاهل ذلك الجيل ستنتقل رسالة الإسلام لتواجه كل صور الطغيان في المجتمعات الجاهلية ولهذا قال الله ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ فالاستقامة على هدى الكتاب توجب تجنب كل صور الطغيان والظلم الاجتماعي والديني والاقتصادي والسياسي والعسكري والبطر المادي وهذه هي الرحمة بالخلق.

❁ نكمل النظرات في صور الفتن في سورة العنكبوت والتي مع هشاشة بيتها وضعفه ومع كونه أو هن البيوت إلا أنها ربما اصطادت به فرانسها ممن يسهل فتنهم؟

❁ وأول فتنة خاصة قد يتعرض لها الإنسان هي فتنة الوالدين والأسرة ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾.

❁ فبدأت الآية بالوصية بالإحسان إلى الوالدين وهذا من حقهما وشكرهما وهو من شكر الله ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ ثم بعد ذلك حدد طاعتها بالمعروف والخير.

(١) الشعراء : ١٤٩ ~ ١٥٢  
(٢) هود : ١١٢

❁ فالوالدان والأسرة قد يصبحان مصدر الفتنة فيجب الإحسان إليهم وأداء الحق الذي لهم دون معصية الله والإشراك به مهما جاهدك الوالدان فلا طاعة لهما.

❁ وقوله ﴿فلا تطعهما﴾ بينته آية أخرى ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ فلا تعارض بين عدم طاعتها في المعصية ومصاحبتهما بالمعروف في نفس الوقت بلا هجر.

❁ وهذا من الرحمة والهدى الذي جاء به القرآن في كيفية الجمع بين النجاة من فتنة الوالدين حين يصدان عن سبيل الله وأداء حقهم والإحسان إليهم ورحمتهم.

❁ وقد كانت أم سعد بن أبي وقاص ووالدا مصعب بن عمير وغيرهم من الصحابة يحاولون فتنتهم وردهم عن الإسلام حتى هددت أم سعد بقتل نفسها جوعا إن لم يرجع.

❁ وقوله تعالى ﴿فلا تطعهما﴾ يؤكد أن الطاعة تنافي الإكراه وهي من الطوع والتطوع وعليه تفهم أحاديث السمع والطاعة للإمام الشرعي بلا إكراه ولا إجبار.

❁ وطاعة الله وطاعة رسوله تعني اتباع أمرهما بحرية واختيار بلا إكراه أو إجبار كما قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾<sup>(١)</sup> والدين في لغة العرب الطاعة.

❁ ومما يؤكد أن الطاعة تنافي الإكراه قوله تعالى للسماوات والأرض ﴿أنتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾<sup>(٢)</sup> فقابل بين الطاعة الاختيارية والإكراه.

❁ وقوله تعالى عن فتنة الوالدين ﴿فلا تطعهما﴾ يؤكد أن طاعتها فيما عدا ذلك واجبة على الولد بالمعروف وبما استطاع وبما كان من حقهما لا حق غيرهما.

❁ ثم تحدثت السورة عن فتنة المجتمع ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ فالناس هم المجتمع وفتنتهم قد تكون أشد من فتنة الطاغوت بما يصدون عن سبيل الله.

❁ فللناس وللمجتمع فتنة لا يكاد يسلم منها إلا من شرح الله صدره للحق ويسر أمره للخير فإن لم يصدوا عن الحق ثبطوا عزيمة من أرادته وسخروا به وهجروه.

(١) البقرة : ٢٥٦

(٢) فصلت : ١١

❁ ثم حذرت السورة من فتنة أهل العلم وأهل الكتاب ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي

أحسن﴾ فأمر بالأحسن كما حذر من فتنة الوالدين وأمر بالإحسان؟

❁ ثم تحدثت عن فتنة الرزق وما قد يتعرض له المؤمنون والمصلحون من التضيق عليهم

في أرزاقهم ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ فالرزق مضمون.

❁ وذكرهم بأن الله يرزق من هو أضعف وأعجز منهم ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله

يرزقها وإياكم﴾ فالأرض واسعة والرزق وفير فاضربوا فيها واعملوا.

❁ ثم تحدثت عن فتنة من نوع آخر وهو السعة والافتتان بمتاع الدنيا ﴿وما هذه الحياة الدنيا

إلا لهو ولعب﴾ هي فتنة أهل البطر والغفلة عن الآخرة وحسابه.



## نظرات قرآنية حول سورة الشورى

- ❁ سورة الشورى سورة مكية تضمنت كل أصول نظام الحكم الإسلامي على نحو موجز معجز فاسمها أوضح دليل على مضمونها فالشورى نظام حياة للمجتمع الإسلامي.
- ❁ بدأت السورة ببيان أن الله وحده الملك ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ فهو الولي الذي له الولاية المطلقة على الخلق ومنها تستمد الأمة ولايتها المقيدة.
- ❁ فالملك والولاية المطلقة لله وهذا أصل الحكم والتشريع ﴿فإن الله هو الولي... وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ ثم قال بعده ﴿شرع لكم من الدين﴾.
- ❁ فحددت السورة أسس الحكم ومرجعه وهو حكم الله الذي وجب توحيده به لكونه الملك الحق والولي الذي له الولاية المطلقة على خلقه فيشرع لهم ويحكم بينهم.
- ❁ ثم بينت السورة أن الله هو الذي أنزل الحكم بالحق والعدل ﴿أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ فلا حق ولا عدل ولا هدي إلا ما شرعه الله الملك الحق العدل.
- ❁ ثم جعلت هذه المقدمات أصلا للدعوة النبوية ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم﴾ ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ فالغاية الحكم بينهم بالعدل والحق.
- ❁ وقوله ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ يؤكد وضوح الخطاب القرآني السياسي بمكة وأن الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾<sup>(١)</sup> بإقامة العدل.
- ❁ بشرت الشورى بالمجتمع الإيماني الذي سيقوم على أنقاض المجتمع الجاهلي وأن الأمر فيه وهو الإمارة وما دونها شورى ورضا ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.
- ❁ وقوله ﴿وأمرهم شورى﴾ أضاف الأمر إلى المؤمنين إضافة استحقاق فالأمر المقيد لهم وشورى بينهم والمراد بالأمر يشمل الإمارة قال عمر: (الإمارة شورى).

(١) الحديد : ٢٥

❁ كما قررت السورة حق رد الظلم والعدوان في المجتمع الإيماني ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾.

❁ وأكدت أنه لا تثريب على من دفع الظلم عن نفسه وإنما السبيل والقصاص من الظالمين ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾.

❁ فاشتملت سورة الشورى على تحديد الملك والولاية والحكم المطلق لله وحده ووجوب العدل وحق الأمة بالشورى في الأمر وحق رد الظلم والقصاص من الظالمين.

❁ قوله ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ نص في العموم في وجوب التحاكم إلى حكم الله في كل شيء و ﴿من شيء﴾ نكرة مسبوقه بمن فصارت نصا في عمومها.

❁ وردت الولاية في سورة الشورى في مواضع هي:

١ - ولاية اتباع وطاعة ﴿اتخذوا من دونه أولياء﴾ وهم الرؤساء والطغاة المتبعون بالباطل ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - ولاية رعاية ونصرة ﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ فليس لهم من يلي رعايتهم ويتولى نصرتهم بل ﴿الله هو الولي﴾ الذي له الولاية المطلقة عليهم.

٣ - ولاية حكم وتشريع ﴿فالله هو الولي... وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله...﴾  
شرع لكم.

٤ - ولاية هداية وتوفيق ﴿ومن يضل الله فما له من ولي من بعده﴾.

٥ - ولاية تصريف وتدبير ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ فهو الذي يتولى وحده تصريف شئون الخلق وله وحده الحمد.

❁ فقوله ﴿فالله هو الولي﴾ أفاد قصر الولاية المطلقة وحصرها لله وحده ولاية التصريف والرعاية وولاية التأيد وولاية الهداية وولاية الحكم والتشريع.

(١) البقرة : ٢٥٧

❁ قررت الشورى توحيد الملك والولاية لله وحده بأوضح بيان ﴿لله ملك السموات والأرض﴾  
﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي﴾ وحده.

❁ قال في الشورى ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ وهو تقرير وحدانية الله الولي في الملك  
فليس معه ملك في مملكته وسلطانه فالخلق جميعا عباده.

❁ قال الطبري ١٠٧ / ٢ ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ (عنى ملك السلطان والمملكة فالخلق  
أهل مملكته وطاعته عليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه).

❁ قال الطبري في تفسيره (لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما  
بما أشاء وأنهى عما أشاء... الخ) وهو توحيد لله في الملك.

❁ وتوحيد الله في الملك هو إفراده بالسلطان والطاعة ﴿ما لكم من دون الله من ولي﴾ قال  
الطبري: (فأنا المنفرد بولايتكم والمتوحد بنصرتكم).

❁ كل ما يقتضيه توحيد الله في الطاعة والحكم والأمر والنهي فرع عن توحيد الله في الملك  
والولاية المطلقة على الخلق ﴿فالله هو الولي﴾.

❁ وقد أوجب القرآن توحيد الله في الملك ليس باعتقاد أن الله وحده ملك السموات والأرض  
فقط بل ﴿ملك الناس﴾<sup>(١)</sup> فليس لهم ملك ولا ولي سواه.

❁ نفى القرآن الشرك مع الله في الملك ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ وفي الصحيح: (لا  
ملك إلا الله)<sup>(٢)</sup> ولا ينازع الله في ذلك إلا ملوك الأرض.

❁ لا يتصور أن يقرر القرآن حقيقة توحيد الله في الملك ونفى الشريك عنه فيه ثم يكون معه  
ملوك في الأرض لهم ولاية على الخلق وطاعة وحكم.

(١) الناس : ٢  
(٢) رواه مسلم.

❁ ولهذا جاء في الصحيح:  
(يقول الله يوم القيامة أنا الملك!)  
أين ملوك الأرض؟  
أين الجبارون؟  
أين المتكبرون؟  
لمن الملك اليوم<sup>(١)</sup>؟

❁ فملوك الأرض وآلهتها البشرية وليس الأوثان الحجرية هم من ينازعون الله في الملك بادعائهم الباطل لينازعوه في ولايته وطاعته وحكمه.

❁ فأبطل القرآن كل صور الملك الجبري للخلق كدعوى فرعون ﴿أليس لي ملك مصر﴾<sup>(٢)</sup> بخلاف ملك الأنبياء الذي يكون بإذن الله كملوك بني إسرائيل.

❁ فملك داود وسليمان ملك نبوة كما في الصحيح (إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء)<sup>(٣)</sup> فلا ملك في الإسلام.

❁ ونكمل غدا الحديث عن الملك وإبطال الإسلام له وتشريع الخلافة النبوية كما في حديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)<sup>(٤)</sup>.

❁ نفت الشورى الملك والولاية والحكم عن سوى الله وأوجبت توحيد الله بها ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ ﴿فالله هو الولي﴾ ﴿فحكمه إلى الله﴾.

❁ ونفت الشورى عن الله الشريك في الحكم والتشريع ﴿أم لهم شركاء شرعوا﴾ والشريك في الولاية ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ لتأكيد توحيده.

❁ بناء على توحيد الله في الملك والولاية والحكم شرع لهم من الدين أحسنه وأقومه ﴿أقيموا الدين﴾ ومن الحكم أعدله ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾.

(١) رواه مسلم والبخاري.

(٢) الزخرف : ٥١

(٣) متفق عليه.

(٤) ورد في صحيح الترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، ومسنده أحمد، ومستدرک الحاكم.

- ❁ بعد توحيد الله في الملك والولاية والحكم المطلق شرع لعباده الشورى كدلالة على الشركة بينهم في الحكم والرأي المقيد لتفرده بالمطلق.
- ❁ تعبر الشورى عن إفراد الله في الحكم المطلق ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾<sup>(١)</sup> كما تعبر عن وحدة الإنسان وأخوة الإيمان ﴿المؤمنون أخوة﴾<sup>(٢)</sup>.
- ❁ جاء القرآن بالشورى كانسجام مع أصوله الإيمانية فلا يتصور قبوله للملك والاستبداد والتفرد بالحكم التي هي من أخص خصائص الله وصفاته.
- ❁ تعبر الشورى أيضا عن أصل الأخوة والمساواة بين العباد ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾<sup>(٣)</sup> فلا يتصور أن يقر النظام الإسلامي الاستبداد الذي يضادها.
- ❁ فالشورى نظام حياة للمجتمع الإسلامي ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ وتعبر عن أصل توحيد الله الذي له الولاية عليهم جميعا وأصل المساواة بينهم.
- ❁ وفي البخاري أثر (إنكم معاشر العرب ما تزالون بخير ما دمتم إذا مات أمير تأمرتم - تشاورتم - بأخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا).
- ❁ نستكمل بإذن الله نظرات قرآنية في سورة الشورى ومعرفة الأسس الإيمانية والعملية لحقيقة الشورى كنظام سياسي راشد.
- ❁ ليست الشورى كما يشيع في الثقافة العامة مشاورة الإمام للأمة بل هي اختيار الأمة للإمام (الإمارة شورى) (لا إمارة إلا عن شورى)<sup>(٤)</sup>.
- ❁ جاءت آية الشورى ﴿وأمرهم شورى﴾ جملة اسمية تفيد الثبوت والاستقرار كمبدأ وحق لأنها مكية ولم تقم دولة فقررت حق الأمة قبل وجود السلطة.
- ❁ جاءت الشورى في آل عمران ﴿وشاورهم في الأمر﴾<sup>(٥)</sup> جملة فعلية تفيد التجدد بعد وجود السلطة وتوجه الخطاب لها لترد الأمر للأمة في كل شأن.

(١) الأنبياء : ٢٣

(٢) الحجرات : ١٠

(٣) الحجرات : ١٠

(٤) قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) آل عمران : ١٥٩



❁ قررت آيتا الشورى حق الأمة ابتداء في اختيار السلطة قبل وجودها وحقها برد الأمر إليها بعد وجودها فهي صاحبة الولاية ابتداء وانتهاء.

❁ ولاية الأمة على نفسها ثابتة قبل وبعد وجود السلطة ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾<sup>(١)</sup> ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ بحكم الولاية العامة المقيدة للأمة على نفسها المستمدة من ولاية الله المطلقة حق لها اختيار الإمام وكيلا عنها وحق لها عزله وخلعه.

❁ الأحكام الشرعية عامة تخاطب الأمة لولايتها النافذة والإمام وكيل عنها بالقيام بما أمرها الله به ابتداء فإذا عجز رجع الأمر إليها.

❁ قررت السورة حق الأمة في الشورى كفرع عن ولاية الأمة على نفسها ثم قررت حقها في دفع البغي عن نفسها ﴿إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾.

❁ وأوجبت رفع الظلم ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾.

❁ قال عمر تأكيدا لتحريم اغتصاب السلطة (اني محذر الناس هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم من بايع رجلا دون شورى فلا بيعة له).

❁ أكد عمر وبيجامع الصحابة وجوب دفع الظلم والبغي ممن يغتصب السلطة (لا إمارة إلا عن شورى من تأمر بغير شورى فلا يحل لكم إلا قتله).

❁ نستكمل نظرات قرآنية في سورة الشورى وارتباط الشورى بالاستقامة والصراط المستقيم وتحريم ضدهما وهو الطغيان.

❁ أمرت السورة بالاستقامة على أمر الله ومن ذلك الإيمان بولاية الله وحاكميته المطلقة والدعوة إلى ذلك ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت﴾.

(١) المائدة : ٥٥  
(٢) التوبة : ٧١

❁ ومن الاستقامة التي يجب الدعوة إليها ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم﴾ ففرق بين الإيمان بالكتاب والعدل بالحكم.

❁ بعد ذكر السورة كل أصول الحكم التي يجب الإيمان بها والدعوة إليها والاستقامة عليها ختمت ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله﴾.

❁ فتوحيد الله بالولاية والحكم والتشريع وجعل الأمر شورى للأمة والحكم بالعدل ورفض الظلم كله من صراط الله الذي يجب الاستقامة عليه.

❁ فقوله في الفاتحة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾<sup>(١)</sup> يتضمن الشورى وأصول الحكم في الإسلام ﴿فاستقم كما أمرت﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾.

❁ فالشورى من سبيل الله قال علي: (إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فمن اختاروه إماما كان لله رضى فمن خالفهم اتبع غير سبيل المؤمنين).

❁ كل ما خالف الاستقامة والصراط المستقيم ومن ذلك الشورى فهو الطغيان ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾<sup>(٣)</sup> وهو الخروج عن الصراط.

❁ لهذا كان غاية الرسل هدم الطغيان والطاغوت ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾<sup>(٥)</sup>.

❁ لم تقتصر سورة الشورى على بيان أصول الحكم والنظام السياسي القرآني وإنما شرعت الأحكام الاقتصادية لهذا النظام على أسس تعبر عنه.

❁ بدأت السورة بقوله ﴿كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ فهو عزيز لا يسأل عما يفعل ولا معقب لحكمه فهو القاهر.

(١) الفاتحة : ٦

(٢) هود : ١١٢

(٣) هود : ١١٢

(٤) طه : ١٧

(٥) النحل : ٣٦

- ❁ وهو الحكيم الذي لا يصدر عنه إلا الحق والعدل والخير والصواب فما شرعه لعباده هو الصراط المستقيم والهدى القويم الذي فيه صلاحهم.
- ❁ قررت الشورى بأن مفاتيح الرزق بيد الله ﴿له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فالمال نتيجة رزق الله وعطائه بحكمة.
- ❁ وكون الرزق من الله يقتضي عدم التصرف فيه إلا وفق ما شرع بالحق والعدل ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ فلا إجحاف بحق الفقير ولا ظلم للغني.
- ❁ بينت السورة الحكمة من تفاضل الناس بالرزق ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾.
- ❁ وأكدت ولاية الله على الخلق بالرزق ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ فهو المحمود بولايته ورحمته.
- ❁ قررت السورة بأن الرزق والتفاضل فيه وما آتاهم الله منه كله ﴿متاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى﴾ فلا يغتر به الإنسان.
- ❁ شرعت الشورى وهي مكية وجوب الإنفاق من رزق الله ﴿وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ فالحكم بينهم شورى والمال شركة بالعدل.
- ❁ فالمال لله جعل الله فيه للفقراء والمحتاجين حقا ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾<sup>(١)</sup> فلا استبداد بالحكم ولا استئثار بالمال والرزق.
- ❁ وحددت سورة الشورى معالم المجتمع الإيماني الراشد وقيمه الاجتماعية التي تسوده ومنها العفو في الغضب ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾.

(١) الحشر: ٧

❁ رفض البغي ودفع العدوان ❁ إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ❁ فليس صفحهم وعفوهم عن عجز وإيمانهم ودينهم يوجب عليهم الانتصار ممن بغي.

❁ العدل في الانتصاف بلا اعتداء ❁ وجزاء سيئة سيئة مثلها ❁ بلا تجاوز في القصاص، العفو والإصلاح ❁ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ❁.

❁ تجنب الظلم ❁ إنه لا يحب الظالمين ❁ في اقتصاصهم، الصبر والمسامحة بعد الانتصار لا قبله ❁ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ❁.

❁ اجتناب الإثم والفواحش ❁ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ❁ وهو كل عدوان محرم على النفس أو المال أو العرض أو العقل أو الدين.

❁ الاستجابة لربهم وحكمه وعبادته ❁ استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ❁ الإنفاق من أموالهم فيما وجب فيها وندب ❁ ومما رزقناهم ينفقون ❁.

❁ حددت سورة الشورى الموقف من القضايا الإنسانية الرئيسية التي طالما كانت سبب الصراع في المجتمعات وهي الإنسان والدين والسلطة والمال.

❁ فالموقف من الإنسان أنه مكلف مسنول حر ليتحقق الابتلاء وهو الغاية من الخلق ❁ وما أنت عليهم بوكيل ❁ ❁ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ❁.

❁ كون الإنسان حرا مختارا جعل الجزاء على دينه في الآخرة ❁ إلى أجل مسمى ❁ من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ❁.

❁ بناء على حرية الإنسان ومسئوليته قررت الشورى ❁ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ❁ بالآخرة.

- ❁ فُقرن بين مسئولية الإنسان وحرية التدين فلا إكراه في الدين لأن الإكراه ينافي الحكمة من خلقهم مختلفين ليلوهم الله أيهم أحسن عملا.
- ❁ فالجزاء على الأعمال والدين هو يوم الحساب وأما في الدنيا فالمراد العدل بين العباد والمنع من الظلم ❁ وأمرت لأعدل بينكم ❁ بالحكم.
- ❁ وحدد العدل الواجب إقامته بين الخلق بأنه ليس أهواءهم ❁ ولا تتبع أهواءهم ❁ بل هو حكم الله الذي ❁ أنزل الكتاب بالحق والميزان ❁ بالقسط.
- ❁ فالشورى التي قررت حق المؤمنين بالحرية قررت لغيرهم حق الحرية بالإيمان وعدمه لأن ❁ لا إكراه في الدين ❁<sup>(١)</sup> لأنه ينافي حكمة تكليف العباد.
- ❁ فالفتنة التي أوجب الله الجهاد لرفعها هي إكراه أحد على ترك دينه ❁ وقتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ❁<sup>(٢)</sup> أي الحكم والطاعة.
- ❁ وليس المراد ❁ ويكون الدين لله ❁<sup>(٣)</sup> أن يدخل الناس كلهم في الإسلام بل أن يكون الحكم لله حتى لا يظلم ولا يفتن أحد لهذا حمى أهل الأديان.
- ❁ ولم يعرف التاريخ أمة يوجب دينها حماية المخالف لها في الدين من أهل نمتها ويجعل ذلك من حكم الله وعدله إلا ❁ خير أمة أخرجت للناس ❁<sup>(٤)</sup>.
- ❁ لم يجعل الله رسوله جبارا ولا مسيطرا ❁ وما أنت عليهم بجبار ❁<sup>(٥)</sup> والجبار الملك المسيطر ولهذا كانت الشورى نظام حياة المجتمع الإسلامي.

(١) البقرة : ٢٥٦

(٢) البقرة : ١٩٣

(٣) البقرة : ١٩٣

(٤) آل عمران : ١١٠

(٥) ق : ٤٥

﴿ جاء في الشورى التأكيد على الاستجابة التي تقتضي حرية الاختيار ﴾ ويستجيب الذين آمنوا ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ ﴿ الذين استجابوا لربهم ﴾ .

﴿ فطاعة الله والرسول والتحاكم إليه هي استجابة طوعية اختيارية لا إكراه فيها ولا إجبار ﴾ ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (١) .

﴿ وبناء على الاستجابة والإيمان والطاعة التي هي أفعال اختيارية قال ﴾ ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ (٢) فهم من يحكم.

﴿ فلا يتصور إقامة دولة الإسلام ما لم يستجب الناس فإن آمنوا فهم أمة الإجابة الذين يلزمهم تحكيم النبي وإلا يستجيبوا فهم أمة الدعوة .

﴿ جاءت بيعة العقبة مع الأنصار في مكة لتأكيد طبيعة العلاقة وأنها عقد عن تراض وإيمان على السمع والطاعة (بايعنا على السمع والطاعة) ﴾ (٣) .

﴿ ليس في السمع والطاعة كما يتوهم إجبار وإكراه بل حرية كما قال ﴾ ﴿ اتتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ (٤) فالطوع اختيار لا إجبار .

﴿ فالطاعة والاستطاعة والطوع كلها تعني الفعل الذي يأتي به الإنسان مختارا بلا جبر بحسب قدرته فينتفي عنه الإكراه الذي ينافي التكليف .

﴿ فلا يتصور لا شرعا ولا عقلا أن يرفع الله الإكراه عن عباده حتى في طاعته وعبادته وينفي عن رسوله أنه جبار أو مسيطر ثم يجعله لبشر؟

﴿ حرمت الشورى شرك الطاعة للأولياء والرؤساء ﴾ ﴿ اتخذوا من دونه أولياء ﴾ ﴿ شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ والدين الطاعة .

(١) البقرة : ٢٥٦

(٢) النساء : ٦٥

(٣) متفق عليه .

(٤) فصلت : ١١

❁ أكدت الشورى توحيد الطاعة حيث هدمت كل طاعة لغير الله وعدته شركا مع الله الذي له الدين والطاعة ❁ **﴿وإن أظعموهم إنكم لمشركون﴾** <sup>(١)</sup> بالطاعة.

❁ فالصراع هو بين الأنبياء والأولياء الذين يتولاهم المشركون بالطاعة والاتباع ❁ **﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾** <sup>(٢)</sup> بطاعتهم.

❁ أطلق القرآن وصف الطاغوت على الأولياء وأمر بالكفر بهم ❁ **﴿الله ولي الذين آمنوا... والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور﴾** <sup>(٣)</sup>.

❁ قال الطبري: (الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الإيمان ويضلونهم) (الطاغوت كل ذي طغيان يقهر منه لمن عبده أو بطاعة).

❁ فرق الطبري بين العبادة القهرية والطاعة الاختيارية وقد تقع من الاتباع للرؤساء والعلماء ❁ **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا﴾** <sup>(٤)</sup> بطاعتهم.

❁ الطاغوت منه طاغوت اتباع وطاعة ❁ **﴿أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم﴾** <sup>(٥)</sup> وطاغوت حكم ❁ **﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾** <sup>(٦)</sup>.

❁ طاغوت الحكم كل من يتحاكم الناس إليه باختيارهم أو كرها فيحكم بينهم بغير حكم الله وعدله فإن رضوا به فهو طاغوت وهم مشركون بطاعته.

❁ قال الطبري: (يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت يعني من يعظموه ويصدرون عن قوله ويرضون بحكمه من دون حكم الله) باختيارهم.

❁ والناس إنما يتحاكمون لعظمائهم قال الطبري: (الطاغوت كل معظم من دون الله بعبادة أو طاعة أو خضوع له كأننا ما كان من إنسان أو غيره).

(١) الأنعام : ١٢١

(٢) الأحزاب : ٦٧

(٣) البقرة : ٢٥٧

(٤) التوبة : ٣١

(٥) البقرة : ٢٥٧

(٦) النساء : ٦٠

❁ هدمت الشورى الطغيان البشري بالطاعة أو الاتباع أو التحاكم وأفردت الله وحده ❁فأله هو الولي❁ لا تتبع أهواءهم❁ فحكمه إلى الله❁.

❁ فجاءت الشورى نقيضا للطغيان ❁وأمرهم شورى بينهم❁ ❁وشاورهم في الأمر❁<sup>(١)</sup> ❁فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ❁.

❁ لم تتطرق الشورى بشكل مباشر لتوحيد العبادة بقدر ما أمرت بتوحيد الله في الولاية والحكم والتشريع والطاعة ونهت عن الإشراك في ذلك.

❁ فتوحيد الله في العبادة فرع عن توحيد الله في الحكم ❁إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه❁<sup>(٢)</sup> فلأن الحكم لله أمر بعبادته وحده.

❁ فالأمر والنهي من أفراد الحكم ولا تعرف العبادة إلا بافعل ولا تفعل ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان بأن الله وحده له الحكم والأمر.

❁ فمن لم يؤمن ابتداء بقوله ❁إن الحكم إلا لله❁ لم يستقم له انتهاء ❁أمر ألا تعبدوا إلا إياه❁ ففعل الأمر متوقف على توحيد الله بالحكم.

❁ حين اختل توحيد الله في الحكم والأمر ❁ألا له الخلق والأمر❁<sup>(٣)</sup> وجد من يتصور أنه يمكن تحقيق توحيد العبادة قبل توحيد الله في الحكم.

❁ وصل الحال أن حكم الطاغوت في الأمة يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويحكم بما يشاء ثم يوجب الجاهلون ولايته ومحبه ونصرته والقتال معه.

❁ جلت سورة الشورى هذا الأصل فاستفاضت في تقرير توحيد الله في الولاية والحكم والتشريع إذا عليه مدار نظام المجتمع في دينه ودنياه.

(١) آل عمران : ١٥٩

(٢) يوسف : ٤٠

(٣) الأعراف : ٥٤



﴿أكدت الشورى بأن الغاية من ذلك ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ لأن الله ﴿الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ والخروج عن ذلك هو الظلم والطغيان.

﴿فوصف بالظلم من خرج عن توحيد الولاية ﴿والظالمون ما لهم من ولي﴾ ومن خرج عن توحيد التشريع ﴿شرعوا لهم... وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾.

﴿ووصفت الشورى بالظلم كل من خرج حد العدل والحق بالعدوان على الخلق ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾.

﴿كما وصفت بالظلم من خرج عن حد الهداية ﴿ومن يضل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾.

﴿حددت سورة الشورى معالم الاستقامة التي سيقوم عليها مجتمع الاستجابة الإسلامي ﴿فلذلك فدع واستقم كما أمرت... وأمرت لأعدل بينكم﴾.

﴿والاستقامة تقابل الطغيان ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾<sup>(١)</sup> وهو تجاوز الاستقامة في العبادة ﴿اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وتجاوز الاستقامة في الحكم ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾<sup>(٣)</sup> وتجاوز الاستقامة في الاتباع والولاية ﴿أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وأمر الله باجتنب الطاغوت ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾<sup>(٥)</sup> سواء طاغوت العبادة أو الحكم أو الاتباع.

(١) هود : ١١٢  
(٢) الزمر : ١٧  
(٣) النساء : ٦٠  
(٤) البقرة : ٢٥٧  
(٥) النحل : ٣٦

❁ ويقابل سبيل الله سبيل الطاغوت ❁ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ❁<sup>(١)</sup>.

❁ ولهذا يقاتل الطاغوت البشري بأتباعه وأنصاره ❁ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ❁<sup>(٢)</sup> من الأنبياء وأتباعهم الذين يأمرونهم بالعدل.

❁ وأبرز صور طاغوت الحكم فرعون وكل سيد مطاع يحارب المؤمنين كما قال النبي عن أبي جهل بأنه (فرعون هذه الأمة) فهو فرعون تلك الفترة.

❁ فالطاغوت والفرعون بشر له أنصاره وأشياعه يحبه شعبه ويفدونه بأرواحهم ❁ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ❁<sup>(٣)</sup>.

❁ وأبرز سنن حكم الطاغوت اتباعه لهواه وشهواته بخلاف الأنبياء ❁ ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ❁.

❁ قال الله ❁يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ❁<sup>(٤)</sup> ❁ احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ❁<sup>(٥)</sup>.

❁ جعل الله إفراده بالأمر المطلق من توحيده كتوحيده بالخلق ❁ إلا له الخلق والأمر ❁<sup>(٦)</sup> ويعم ويعم الأمر القدري الكوني والأمر الشرعي الديني.

❁ قال الله عن عاد ❁وعصوا رسله واتبوا أمر كل جبار عنيد ❁<sup>(٧)</sup> والجبار الملك القاهر فاتباع أمر الملوك والطغاة وطاعتهم نقيض توحيد الله.

---

(١) النساء : ٧٦  
(٢) آل عمران : ٢١  
(٣) البقرة : ١٦٥  
(٤) ص : ٢٦  
(٥) المائدة : ٤٩  
(٦) الأعراف : ٥٤  
(٧) هود : ٥٩

﴿ وحذر الله من طاعة أمر المسرفين والمفسدين ﴾ ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴿<sup>(١)</sup> فطاعة أمرهم شرك في الطاعة.

﴿ قال الذين استضعفوا للذين استكبروا ... إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ فكانت سنن الأنبياء ﴾ وأمرهم شورى بينهم ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾<sup>(٤)</sup> وسنن الطغاة الاستبداد بالأمر ﴿ فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيده ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿ وقال الله عن قوم فرعون ﴾ فاستخف قومه فأطاعوه ﴿<sup>(٦)</sup> في ما خالف أمر الله ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ... فدمرناها ﴾<sup>(٧)</sup>.

﴿ الغاية من بعث الرسل طاعتهم ﴾ فاتقوا الله واطيعوا ﴿<sup>(٨)</sup> وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾<sup>(٩)</sup> فطاعتهم طاعة لله وتوحيده لأنها بأمره.

﴿ جعل الله اتخاذ غيره مطاعا من دونه شركا ومن اتخذوهم أربابا وآلهة ﴾ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ﴿<sup>(١٠)</sup> قال يحلون لهم الحرام فيطيعونهم.

﴿ حكم الله بالشرك على من أطاع غيره ولو كان مؤمنا بالله فقال مخاطبا المؤمنين يحذرهم من طاعة المشركين ﴾ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴿<sup>(١١)</sup>.

(١) الشعراء : ١٥١ - ١٥٢

(٢) سبأ : ٣٣

(٣) الأحزاب : ٦٧

(٤) آل عمران : ١٥٩

(٥) هود : ٩٨

(٦) الزخرف : ٥٤

(٧) الإسراء : ١٦

(٨) الشعراء : ١٠٨

(٩) النساء : ٦٤

(١٠) التوبة : ٣١

(١١) الأنعام : ١٢١

﴿ طاعة غير الله واتباعه قد تكون محبة ﴾ أندادا يحبونهم كحب الله... إذ تبرا الذين أتبعوا من الذين أتبعوا ﴿<sup>(١)</sup> سواء كانوا رؤساء أو علماء.

﴿ قال صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم) ﴾<sup>(٢)</sup> وعبادتهما بمحبتهما حبا يصرف الإنسان عن طاعة الله فكل محبوب أو متبوع أو مطاع دون الله إله.

﴿ سمي الله الهوى إلهها باتباع العبد له ﴾ ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾<sup>(٣)</sup> وذلك بأن لا يحلل ولا يحرم إلا ما تهواه نفسه فتكون نفسه إلهها له.

﴿ كما ورد إطلاق الإله على الملك المطاع من دون الله ﴾ ﴿لئن اتخذت إلهها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾<sup>(٥)</sup> تجب طاعته.

﴿ فقد كان تأله فرعون هو بإجبار الناس على طاعته وهذه هي عبودية بني إسرائيل له كما قال الملائكة ﴿وقومها لنا عابدون﴾<sup>(٦)</sup> بخضوعهم وطاعتهم .

﴿ فصار مفهوم الإله والرب يطلق على الملوك وعلى الأحرار وعلى الرهبان وعلى هوى النفس كما قال ابن عباس: (الهوى إله معبود من دون الله).

﴿ أمرت الشورى بالاستقامة ﴾ ﴿واستقم كما أمرت﴾<sup>(٧)</sup> وهي نقيض الطغيان ﴿ولا تطغوا﴾<sup>(٨)</sup> تطغوا﴾<sup>(٨)</sup> والطغيان تجاوز الحد المشروع كفرا أو ظلما أو بغيا وعدوانا.

﴿ الطغيان قد يكون سياسيا فرديا ﴾ ﴿فرعون إنه طغى﴾<sup>(٩)</sup> أو ماديا اقتصاديا ﴿إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى﴾<sup>(١٠)</sup> أو مجتمعا ﴿بل هم قوم طاغون﴾<sup>(١١)</sup>.

(١) البقرة : ١٦٥ - ١٦٦

(٢) صحيح البخاري.

(٣) الفرقان : ٤٣

(٤) الشعراء : ٢٩

(٥) القصص : ٣٨

(٦) المؤمنون : ٤٧

(٧) هود : ١١٢

(٨) هود : ١١٢

(٩) طه : ٢٤

(١٠) العلق : ٦ - ٧

(١١) الذاريات : ٥٣

﴿ كان طغيان قوم نوح اجتماعيا ﴾ ﴿أنؤمن لك واتبعك الأذلون﴾<sup>(١)</sup> وقوم شعيب اقتصاديا  
﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ وقد حرم الله الطغيان بكل صورته السياسي والاقتصادي ﴾ ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾<sup>(٣)</sup>  
والاجتماعي ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ قررت سورة الشورى التصدي للظلم والطغيان بكل صورته ﴾ ﴿إذا أصابهم البغي هم  
ينتصرون﴾ ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ .

﴿ رفض الطغيان سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو سلوكيا والتصدي له  
وتغييره والثورة عليه حين لا يجد المصلحون بدا واجب وحق .



---

(١) الشعراء : ١١١  
(٢) الشعراء : ١٨١ - ١٨٢  
(٣) الرحمن : ٨  
(٤) النجم : ٥٢

## نظرات قرآنية حول سورة الأحزاب

- ❁ الأحزاب مدنية وآياتها ٧٣ آية بعدد أهل العقبة الثانية فيها ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ احتفاء بهم وتذكيرا بعهدهم.
- ❁ جاءت الأحزاب بعد سورة السجدة وهي مكية وآخرها ﴿ويقولون متى هذا الفتح... فأعرض عنهم وانتظر﴾<sup>(١)</sup> للتناسب بينهما فالفتح بعد حصار الأحزاب.
- ❁ موضوع السورة هو حصار الأحزاب من جبابرة العرب وأعدائهم من يهود للمؤمنين في المدينة وتأميرهم للقضاء على الإسلام ودولته يوم الخندق.
- ❁ لم يتكرر مشهد الأحزاب وتأمير كفار العرب واليهود على الإسلام وعلى الأمة منذ تطهير جزيرة العرب منهم بعد غزوة الخندق إلا في هذا العصر.
- ❁ الأمة أحوج ما تكون لفك الحصار عنها وكشف كيد أعدائها إلى تدبر سورة الأحزاب ففيها ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وكيف تصرف.
- ❁ كشفت السورة بأبلغ عبارة حال المؤمنين حين اشتد عليهم الحصار والتأمر من أعدائهم من عرب ويهود وحال المنافقين في المدينة وما جرى منهم .
- ❁ افتتحت السورة بأشرف خطاب وأجله وأعظمه ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ فأكرم به متكلما (الله) وخطابا (القرآن) ومخاطبا (النبي) لتصغي النفوس.
- ❁ الافتتاح بوصف النبوة ﴿يا أيها النبي﴾ إشارة إلى قرب تحقق الفتح الذي بشرت به سورة السجدة المكية في آخر آية فبعد الأحزاب سيكون الفتح.
- ❁ أمر الله نبيه لمواجهة الأحزاب وكيدهم وتأميرهم بأول وسيلة للنصر ﴿اتق الله﴾ فإنها ذخيرة المؤمنين وعدتهم على عدوهم فمن اتقى الله نصره.

(١) السجدة : ٢٨ - ٣٠

- ❁ تقوى الله كلمة جامعة لكل معاني العبودية لله تعالى بفعل الأمور وترك المحظور والصبر على المقدر والاستقامة على صراط الله المستقيم.
- ❁ نكمل غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب التي تنطبق على واقع الأمة اليوم كما جرى لها يوم تأمر الأحزاب من عرب ويهود عليها بالحصار.
- ❁ نكمل (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وربطه بما تتعرض له الأمة من تأمر خارجي وداخلي يشبه تأمر طغاة العرب ويهود المدينة يوم الخندق.
- ❁ ابتدأت السورة بخطاب مباشر للنبي ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين﴾ والأمر فيه تجريد لمقام الربوبية لله وحده والعبودية لنبية.
- ❁ الأمر بتقوى الله لا ينافي مقام النبوة إذ النبي هو (أول المؤمنين) و (أول المسلمين) وكل خطاب له فهو لأئمة وهذا دليل على كمال نبوته.
- ❁ النداء ﴿يا أيها النبي﴾ فيه تشريف له من ربه وتكريم بوصف النبوة وشهادة من الله له بها ﴿وكفى بالله شهيدا﴾<sup>(١)</sup> وإشارة لوقوع كل ما نبأهم به.
- ❁ في خطاب الأمر ﴿اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ بيان لخطورة طاعة الكافرين والمنافقين ومداهنتهم وأنه ينافي تقوى الله وطاعته.
- ❁ قوله ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ تحذير من خطر العدو الخارجي الكافر الظاهر الممانع والداخلي المنافق المصانع تمهيدا لكشف مؤامرتهم.
- ❁ قوله ﴿ولا تطع الكافرين﴾ من يهود وعرب فيما يدعونك إليه من اتباع ملتهم وطريقتهم في الحياة فإن عداوتهم لن تتوقف ﴿حتى تتبع ملتهم﴾<sup>(٢)</sup>.
- ❁ لفظ ﴿ولا تطع﴾ يشير إلى ما كان يريده طغاة العرب في مكة واليهود في المدينة من موافقة النبي لهم والقبول بإملاءاتهم لكف الحرب عنه.

(١) النساء : ٧٩

(٢) البقرة : ١٢٠

✿ يمثل الكفر عدوا خارجيا ظاهرا على الإسلام لأنه يغالبه ويمانهه بالقوة بينما النفاق يصانعه ويمكر به بالخفاء فيكيد للإسلام من الداخل.

✿ ختم أول آية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليم بأحوالكم وأحوال أعدائكم وحكيم بما يأمركم به من عدم طاعتهم والحذر من مكرهم وكيدهم.

✿ حددت فواتح سورة الأحزاب سبيل الهداية والنصر إجمالا بأربعة أمور

﴿اتَّقِ اللَّهَ...﴾

ولا تطع الكافرين...

واتبع ما يوحى إليك...

وتوكل على الله.

✿ فأسباب النصر:

١ - تقوى الله.

٢ - باتباع هدايات كتابه.

٣ - ثم بالتوكل عليه وحده لا شريك له مع الأخذ بالأسباب الممكنة.

٤ - والحذر من العدو.

✿ في قوله ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا﴾ تنبيهه إلى عدم الخشية من العدو مهما عظم كيده ومكره فالنصر من عند الله وحده وكفى بالله نصيرا.

✿ ستشرع السورة بعد ذلك بتفصيل ما أجملته في فواتحها وما جرى يوم الأحزاب وتآمرهم وكيف كانت تقوى الله وطاعته والتوكل عليه سببا للنصر.

✿ ونكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب لمعرفة هدايات القرآن للأمة وللمؤمنين في مواجهة خطر العدو الداخلي والخارجي.

✿ شرعت سورة الأحزاب بذكر تفاصيل مؤامرة الخندق بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ فسماها نعمة.



﴿بل النعمة تعم ذلك كله فجمع الله لهم كل أعدائهم ليريهم صدق ما وعدهم به وهم في مكة سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾<sup>(١)</sup> فتحققت النبوءة.

﴿صار يوم الأحزاب ﴿نعمة الله﴾ لتحقق ما وعد الله نبيه والمؤمنين وهم في مكة مستضعفين من جمع عدوهم وهزيمته ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.﴾

﴿جمع الله أعداء الإسلام من طغاة العرب وطغاة اليهود يوم الأحزاب ليري المؤمنين كيف تكون نعمته عليهم بهزيمته لكل أعدائهم بلا حول منهم.﴾

﴿تحقق يوم الأحزاب من جمع العدو لكل قوته الداخلية والخارجية وكانوا ١٢ ألفا ما لم يكن يوم بدر فهم الموعود ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.﴾

﴿لم تقم للعدو قائمة بعد الخندق بخلاف يوم بدر وقال النبي بعد الأحزاب (اليوم نغزوهم ولا يغزوننا)<sup>(٢)</sup> فكانت تولية الدبر حقا ﴿ويولون الدبر﴾<sup>(٣)</sup>.﴾

﴿قوله ﴿اذكروا نعمة الله﴾ تنبيهه على تذكر أيام الله التي أظهر فيها دينه ورسوله والمؤمنين للاعتبار حال الاستضعاف وللشكر حال الاستخلاف.﴾

﴿إضافة النعمة إلى الله ﴿نعمة الله﴾ لتعظيمها وأن ما جرى يوم الأحزاب كله تدبير رباني بما في ذلك جمع العدو وهزيمته جملة ومرة واحدة.﴾

﴿تحقق يوم الأحزاب من النبوءات وكشف الله به من المؤامرات وظهر فيه من الابتلاءات والتمحيص والنصر بلا مؤنة ما جعله حقا ﴿نعمة الله﴾.﴾

﴿ما جرى على الأمة يوم الخندق يجري مثله اليوم حيث كشف الله من تأمر عدوها الخارجي (الأمريكي والروسي) والداخلي ما يعد من ﴿نعمة الله﴾.﴾

(١) القمر : ٤٥  
(٢) صحيح البخاري.  
(٣) القمر : ٤٥

❁ من ﴿نعمة الله﴾ على الأمة أن يستبين سبيل الرشد من سبيل الغواية ﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾<sup>(١)</sup> بعد قرن من التيه في عبادة الطاغوت وموالاته.

❁ كشف الله بثورة الأمة اليوم على الطاغوت من المؤامرات عليها داخليا وخارجيا وظهر من أحوال المجرمين ما لا يمكن تصويره لولا ﴿نعمة الله﴾.

❁ من تدبر سورة الأحزاب وما جرى من مؤامرات خارجية وداخلية على الأمة وكيف اضطرب المؤمنون وتمحص صفهم وجده مطابقا لما يعصف بها اليوم.

❁ ما حدث يوم الأحزاب كالزلازل الذي تعيشه الأمة في مصر وسوريا وهي أيام تمحيص ﴿هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾.

❁ نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وكيف تشابه ما جرى فيها مع ما يجري للأمة اليوم مع أعدائها في الخارج والداخل.

❁ افتتح الله خبر الأحزاب بالامتنان على المؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود﴾ فإيمانهم سبب نعمة النصر.

❁ ربط الله بين الإيمان ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وحدث نعمة النصر ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ حتى لا يتوهم أن النصر خاص بالنبي ومعجزاته.

❁ قوله ﴿إذ جاءكم جنود﴾ هم ١٢ ألفا من الأحزاب من طغاة العرب واليهود ﴿فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾.

❁ ﴿فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾ حيث أنزل الله الملائكة يوم الأحزاب تثبيتا للمؤمنين وهزمهم بالريح العاصف فمزقت شملهم وأدبروا.

(١) الأنعام : ٥٥

﴿قوله﴾ **﴿وجنودا لم تروها﴾** تنبيهه إلى أن ما ظهر لهم من نصر الله السماوي بالملائكة والريح أقل مما لم يظهر ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وجنودا لم تروها﴾ ومن ذلك ما قذفه الله في قلوب الأحزاب من الرعب حتى هزمهم بلا قتال وفي الصحيح (نصرت بالرعب)<sup>(٢)</sup> وهو متحقق للأمة بعده.

﴿قوله﴾ **﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾** لشدة إحكام الحصار الذي ضربه الأحزاب من طغاة العرب ويهود بني النضير وبني قريضة على المدينة.

﴿إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ وذلك لشدة الخوف من الاستئصال والإبادة للمسلمين التي عزم عليها الأحزاب.

لم يضيف الفعل ﴿زاغت الأبصار﴾ ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ للصحابة إذ أثبت لهم خلاف ذلك بعده وهو الإيمان والتسليم وإنما وقع ذلك في صفوفهم.

﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ حيث راجت الإشاعات بأنها النهاية لدولة الإسلام وللمؤمنين ولم يتصوروا بأنه بعد ٧ سنوات سيفتحون فارس والروم.

ولقوة الإشاعات والحرب النفسية وحصار العدو المضروب على المدينة من كل جهة بهدف الإبادة ﴿هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾.

﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا﴾ فبدأ العدو الداخلي للأمة بحربه الإعلامية بالطعن بدينها.

﴿العدو الداخلي قسمان:

﴿المنافقون﴾ الذين يضمرون العداوة للأمة ودينها.

﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ ممن لا يضمرون عداوة إلا إنه مريض يضر الأمة.

(١) الفتح : ٧

(٢) رواه البخاري ومسلم.

- ❁ كلا الفريقين ﴿المنافقون﴾ ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ يمثلون خطرا على الأمة زمن الحرب والاضطراب بإرجافهم وقيلهم وقالهم فحذر القرآن منهم.
- ❁ ونكمل غدا بإذن الله تفاصيل إرجاف العدو الداخلي وأساليبه في ظل الخطر الخارجي كما ورد في سورة الأحزاب وكيف تم مواجهتها.
- ❁ ذكرت سورة الأحزاب أبرز أعمال المنافقين حين الشدائد ومنه الشك بوعد الله بالنصر ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ لعدم إيمانهم بالغيب.
- ❁ ومن أبرز صفات المنافقين الإرجاف بالهزيمة قبل وقوعها والحض على ترك الجهاد ﴿إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾.
- ❁ ومن أفعال المنافقين حين تتعرض الأمة للخطر الفرار والتخلي عنها في محنتها خوفا على مصالحهم الخاصة ﴿يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾.
- ❁ ومن أفعال المنافقين وقت الشدائد استجابتهم لفتنة العدو ودخولهم فيما يمليه عليهم ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها﴾.
- ❁ قوله ﴿ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾ دليل على شدة تطلعهم لظهور العدو على الأمة وتشوفهم لفتنته والدخول في أمره وكفره.
- ❁ ومن صفات المنافقين وقت الشدة نقضهم عهودهم ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ اغترارا منهم بقوة العدو وضعف الأمة.
- ❁ ومن صفات المنافقين وقت الشدة تعويق الأمة عن جهاد عدوها ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس﴾.

- ❁ قوله ﴿ولا يأتون البأس إلا قليلاً﴾ فلا يدفعون مع الأمة عدوها إن فعلوا إلا رياء وطمعاً بمصلحة لا رغبة في نصرها ولا ظهورها على عدوها.
- ❁ من صفات المنافقين البخل ﴿أشحة عليكم﴾ بالخير فلا يجاهدون مع الأمة عدوها ويجودون بأنفسهم ولا ينفقون ويجودون بأموالهم في الدفاع عنها.
- ❁ قوله ﴿أشحة عليكم﴾ أي في كل حال في الرخاء والشدة فلا يبذلون نفساً ولا مالا ولا وقتاً ولا جهاداً في إصلاح حال الأمة كراهة منهم لقوتها.
- ❁ ومن صفات المنافقين الجبن والهلع عند المحن ﴿فإذا جاء خوف رأيهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ حرصاً على الحياة.
- ❁ ومن صفات المنافقين الطعن والتشهير بالمؤمنين ﴿فإذا ذهب خوف سلقوكم بأسنة حداد أشحة على الخير﴾ فهم بخلاء في الخير مسرفون في الشر.
- ❁ ومن صفات المنافقين سوء الظن بالله وبالمؤمنين فلا يصيب لهم رأي لفساد تصورهم للواقع ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ فلا يتوقعونه مع وقوعه.
- ❁ كشفت سورة الأحزاب من صفات المنافقين النفسية والفعلية وقت المحن والاضطراب ما لم يبق معه ستر لهم يستترون به لتحذرهم الأمة وتنقيهم.
- ❁ نكمل غداً بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب للاستفادة من هداياتها في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية التي تعصف بالأمة.
- ❁ أبطل القرآن شبه المنافقين والمعوقين والذين في قلوبهم مرض ممن يخذلون الأمة عن جهاد عدوها ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾.
- ❁ بين الله أن الفرار من الموت أو القتل فرار من قدره الذي لا مفر منه ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾.

- ❁ ضربت السورة المثل بالنبي وصحبه بعد أن فضحت المنافقين والمعوقين والمرضى نفسيا وخلقيا ممن يزعمون صف الأمة في وقت المحن ويخذلونها.
- ❁ أمر الله في سورة الأحزاب باتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة حسنة في الثبات والجهاد والصبر واليقين بوعد الله في أشد المحن.
- ❁ كان النبي صلى الله عليه وسلم يحفر الخندق مع أصحابه وكلما ضرب حجرا بشرهم بالنصر حتى بشرهم بفتح اليمن والعراق وفارس والشام والروم.
- ❁ تجاوز النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه الأزمة نفسيا وإيمانيا فاستشرف لهم المستقبل وبشرهم حتى لا يكونوا أسرى أراجيف الحصار والحرب.
- ❁ ربط الله بين الإيمان بالغيب والإكثار من ذكره لمن أراد الاقتداء بالنبي ﴿أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾.
- ❁ كلما زاد رجاء الإنسان وإيمانه بربه ولقائه زاد ذكره له بحاله ومقاله وقلبه وهو عدة المجاهدين وحقيقة الاقتداء بالنبي بإيمانه وأعماله.
- ❁ حقيقة ذكر الله هو استحضر المؤمن لمقام إلهيته ذهنيا بالتفكير والتدبر بآيات الله القرآنية والكونية وعمليا بالطاعة والعبادة والإحسان.
- ❁ الرجاء من أشرف مقامات العبودية ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ ففي الرجاء الأمل والاستبشار وحسن الظن بقضاء الله ورحمته حالا ومآلا.
- ❁ جاءت الآية ﴿لمن كان يرجو الله﴾ في سياق الأحزاب وما جرى للمؤمنين من كرب عظيم تبشيرا لهم بالفرج بعد الشدة وتذكيرا بمعية الله لهم.
- ❁ لم تذكر الآية المرجو من الله ليعم كل رجاء يرجوه المؤمن منه وبه ومن ذلك بره ورحمته ونصره وفضله وجنته ورضوانه ولقائه وكل خير يرجوه.
- ❁ ونكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب حيث ستشرع السورة في بيان حال المؤمنين وقت الشدة والحصار وكيف كانت لهم العاقبة.

- ❁ بعد أن فرغت سورة الأحزاب من فضح حال المنافقين والمعوقين والمرضى نفسيا وخلقيا عند وقوع الشدائد بدأت ببيان حال المؤمنين وثباتهم.
- ❁ بدأت السورة في الحديث عن المؤمنين بالأمر باتخاذ النبي أسوة فهو أول المؤمنين وقدوتهم تشريفا لهم بذكره قبل ذكرهم وتنويها بقدرهم.
- ❁ كان أول ما بدر من المؤمنين حين رأوا العدو التصديق بوعد الله واليقين به ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾.
- ❁ كما أن المحن تفضح المنافقين وتكشف زيف إيمانهم فإنها لا تزيد المؤمنين إلا إيمانا ﴿وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾.
- ❁ كما تزيد المؤمنين إيمانا بوعد الله بالنصر بعد التمهيص للصف ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾<sup>(١)</sup>.
- ❁ وعد الله المؤمنين بالنصر والاستخلاف في الأرض ليحملوا رسالة الله للناس وليخرجوهم من الكفر إلى الإيمان ولا يتحقق ذلك إلا بتمحيصهم.
- ❁ لا يمكن أن يحمل المؤمنون رسالة الله للعالمين وفيهم المنافقون والمعوقون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فكان لا بد من تطهير صفهم.
- ❁ لا يظهر النفاق والخلل إلا بوجود خطر خارجي يهدد الأمة ولهذا كانت الشدائد كواشف عن مكامن الخطر الداخلي لتحتاط الأمة وتأخذ حذرهما.
- ❁ إذا كانت الهجرة تميزا لصفوف المؤمنين من المشركين وهم العدو الخارجي فإن الحصار تطهير للمؤمنين من عدوهم الداخلي من المنافقين.
- ❁ أبرز صفات المؤمنين حين الشدة زيادة الإيمان بالغيب والتسليم والطاعة للأمر ﴿وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ بإسلام القلب والوجه لله.

(١) آل عمران : ١٧٩

❁ حقيقة الإسلام وقطب رحاه

الاستسلام القلبي لله ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾<sup>(١)</sup> من الشرك والنفاق والشك.

والإسلام الظاهري ﴿أسلم وجهه لله﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ أتى الله على المؤمنين الذين ثبتوا في الشدة بأشرف ثناء وأكرمه ﴿من المؤمنين رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فوصفهم بالصدق والوفاء.

❁ فهذه شهادة من الله بكمال الرجولة لصحابة رسول الله ومن اقتدى بهم في ثباتهم على

الإيمان والوفاء بعهدهم مع الله والجهاد في سبيله.

❁ نوهت الآية بشرف من استشهدوا من الصحابة قبل الأحزاب والخندق كيوم بدر ويوم أحد

ويوم الرجيع وبنر معونة تذكيرا لمن بعدهم للاقتداء بهم.

❁ كما أتى الله على كل المؤمنين الذين صدقوا وما زالوا ينتظرون نحبهم ولم يبذلوا ﴿فمنهم

من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾.

❁ جعل الله انتظار المؤمنين للوعد وتوطينهم أنفسهم على الوفاء بالعهد من دلائل الصدق

فحالهم كحال من سبق من الشهداء لعزمهم على الجهاد.

❁ نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وما جرى من نصر للمؤمنين

وغنيمة وما وقع للعدو من هزيمة وما أشبه الليلة بالبارحة!

❁ ربطت سورة الأحزاب بين النتائج والأسباب ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ فالصدق

سبب للنصر ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

❁ الصدق في الاعتقاد والإقرار والقول والعمل هو حقيقة الإيمان والإسلام ﴿والذي جاء

بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾<sup>(٣)</sup> وهو نقيض النفاق.

(١) الشعراء : ٨٩

(٢) البقرة : ١١٢

(٣) الزمر : ٣٣



﴿وكما أن جزاء الصدق النصر في الدنيا والآخرة فجزاء النفاق العذاب في الدنيا والآخرة  
﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ إذا تابوا.

﴿لشدة خطر المنافقين على الأمة لمولاتهم للعدو الخارجي ومظاهرتهم له عليها كان كشف  
حاله أولوية في سورة الأحزاب وأكثر أهمية للحيفة منهم.

﴿حاجة الأمة اليوم شديدة لمعرفة حال المنافقين والطابور الخامس الذي يتأمر عليها مع  
عدوها الخارجي الأمريكي الغربي أو الروسي الشرقي.

﴿هدد القرآن المنافقين ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في  
المدينة لنغرینك بهم﴾ فمن ظاهر العدو منهم شرع عقابه.

﴿جعل القرآن جزاء من خان الأمة في حربها مع عدوها النفي أو القتل ﴿ثم لا يجاورونك  
فيها إلا قليلا... أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾.

﴿فتح الله باب التوبة للمنافقين ﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان  
غفورا رحیما﴾ إذا تابوا حفاظا على تماسك المجتمع.

﴿قص الله بعده خبر الأحزاب وهزيمتهم ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾  
حيث هزمهم الله بالريح ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾.

﴿﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ دليل بأن القتال ليس مرادا لذاته بل هو وسيلة لغيره وهو  
تحقيق الظفر والنصر فبأي وسيلة تحقق فثم شرع الله.

﴿﴿وكان الله قويا عزيزا﴾ قويا بهزيمته الأحزاب بالرعب والريح العاصف دون قتال  
وعزيزا بحمايته للمؤمنين ومنع عدوهم من الظفر والنيل منهم.

﴿﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم﴾ وهم يهود بني قريظة الذين  
خانوا المؤمنين من داخل المدينة وظاهروا العدو من حصونهم.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ فنصر الله النبي والمؤمنين على بني قريضة بالرعب مع قوة حصونهم وقلاعهم في المدينة فاستسلموا بعد خيانتهم.

﴿فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ فقدم ذكر الفريق الذي يستحق القتل وهم قاداتهم وآخر من يستحق الأسر من أتباعهم.

﴿وفي التقديم والتأخير نكت بيانية وبلاغية منها أن القتل جزاء والأسر عفو فقدم الجزاء والقتل إفاء فعجله بالذكر والأسر استبقاء فأخره.﴾

﴿ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب لمعرفة كيف عالجت الخطر الداخلي حال تعرض الأمة لخطر العدو الخارجي.﴾

﴿في سورة الأحزاب يتجلى القدر الإلهي والأمر الرباني في إدارة الصراع﴾ ورد الله الذين كفروا... وكفى الله المؤمنين... وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب...﴾

﴿من الإيمان بالغيب شهود الله في أفعاله في الخلق وتصريفه شئونهم وتجلي قدرته وحكمته ورحمته ومعيته للمؤمنين (أن تعبد الله كأنك تراه)<sup>(١)</sup>.﴾

﴿حين تطغى المادية ويضعف الإيمان بالغيب الذي كل هذا الوجود المادي بعض تجلياته لا يمكن الاهتداء إلى سنن الله التي لا تتبدل في الخلق.﴾

﴿أفعال الله في الوجود وأقداره في الخلق دليل ربوبيته التي تقتضي طاعته﴾ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة...﴾

﴿بعد هزيمة الله للجاهلية وأحزابها عسكريا جاءت التشريعات الأخلاقية ووجوب العفاف والطهر﴾ ولا تبرجن تبرج الجاهلية﴾ لهزيمتها مجتمعيا.

﴿جاء الإسلام ليهدم الجاهلية بكل موروثها الوثني والمادي ويقوم على أنقاضها المجتمع الإيماني وقيمه الأخلاقية (كل أمر الجاهلية موضوع)<sup>(٢)</sup>.﴾

(١) رواه مسلم.  
(٢) رواه مسلم.

- ❁ لم تغفل السورة مواجهة الجاهلية الأخلاقية والاجتماعية أثناء حديثها عن مواجهة الأحزاب الجاهلية عسكريا وسياسيا فالجاهلية كل لا يتجزأ.
- ❁ كان استغلال المرأة أحد مرتكزات الجاهلية في إشاعة انحلالها الأخلاقي فجاء الإسلام للارتقاء بالإنسان عامة والمرأة خاصة إلى قيم الطهر.
- ❁ وجه القرآن خطابه لنساء النبي مباشرة فهن الأسوة والقُدوة وأمّهات المؤمنين ومن باب أولى بناتهن من المؤمنات جميعا فكان الوعظ بهن أبلغ.
- ❁ حذرت السورة من خطر الأحزاب الجاهلية (طغاة العرب واليهود) وخطر المنافقين والمعوقين والذين في قلوبهم مرض وأوجب حماية المرأة والمجتمع.
- ❁ أثبت التاريخ أن الانحلال الأخلاقي والمجتمعي من أسباب ضعف الدول وانهيارها أمام عدوها الخارجي فكان لا بد من صيانة المجتمع الإيماني.
- ❁ ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وكيف جاءت بالأحكام التي تحمي المجتمع الإيماني داخليا في مواجهة خطر الجاهلية.
- ❁ تحدثت سورة الأحزاب عن النبي في شأنه العام وهو يسوس شؤون الأمة وشأنه الخاص في بيته وإصلاح أسرته لبيان أن صلاح الأمة من صلاح الأسرة.
- ❁ أفاضت السورة في بيان مقام النبوة وحقوق النبي على أمته صلى الله عليه وسلم ومن تلك الحقوق:
- ١ - وجوب الاقتداء به واتخاذ أسوة في كل شأن.
  - ٢ - من حقوق النبي وجوب التسليم لحكمه فليس للمؤمنين ﴿إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾.
  - ٣ - تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم بأي شكل من الإيذاء قولاً كان أو فعلاً حال حياته أو بعد وفاته ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.
  - ❁ ساوت السورة بين الكفار الذين آذوا النبي فحاربوه وحاصروه في المدينة والمنافقين الذين آذوه في الداخل بالطعن فيه وفي أهله وأنصاره.
  - ٤ - لعن الله من آذى رسوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ فإيذاؤه كفر ونفاق وردة.

٥ - من حقوق النبي في السورة وجوب الصلاة والتسليم عليه في كل الصلوات واستحبابه خارجها ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

﴿خبرت السورة﴾ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴿لبيان مقامه العظيم عند ربه وأن شأنه أجل من أن يحارب ويؤذى فالسماوات تصلي عليه وتجله﴾.

٦ - من حقوق النبي وجوب طاعته طاعة مطلقة في كل أمر ونهي إذ هو قطب رحي الإيمان وشرط الجنة ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

٧ - الإيمان بأنه رسول الله وخاتم النبيين وسيدهم ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وهو إعلان سماوي بظهور دينه مهما حاربه الكافرون به.

﴿نكمل بإذن الله غدا﴾ (نظرات إيمانية) في سورة الأحزاب وكيف أراد أعداء الله حصار الإسلام وحرب المؤمنين فكانت العاقبة النصر والفتح.

﴿تضمنت سورة الأحزاب أحكام تطهير الأسرة في المجتمع الإيماني من رجس الجاهلية وعاداتها﴾ يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم﴾.

﴿وردت آية التطهير هنا في بيت النبوة خاصة﴾ أهل البيت ويظهركم ﴿وللمؤمنين عامة في سورة المائدة﴾ ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم ﴿<sup>(١)</sup>﴾.

﴿خاطبت السورة أهل بيت النبوة ونساء النبي ليكونوا أسوة للمؤمنين وقدوة في التطهر من عادات الجاهلية فبييت إمام الأمة أحق بالاستقامة﴾.

﴿الإرادة في آيات التطهير هي الإرادة الشرعية التعليلية لبيان المراد من تشريع الأحكام وهو إذهاب رجس الجاهلية عن المجتمع الإيماني﴾.

﴿أمرت السورة بكل أحكام التطهير النفسي والأخلاقي ومنه﴾:

١ - الإيمان والإحسان وإرادة الله والدار الآخرة ﴿تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾.

٢ - تجنب الفواحش ﴿من يأت منكن بفاحشة﴾ وهو كل ما ظهر من الكبائر.

(١) المائدة : ٦

- ٣ - القنوت بالطاعة والعمل الصالح ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا﴾ .
- ٤ - تقوى الله وعدم الخضوع بالقول اللين واعتياد القول المعروف الذي لا ريبة منه ﴿إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ .
- ٥ - القرار في البيوت ﴿وقرن في بيوتكن﴾ فالبيوت صوامع المؤمنات ومصانع الرجال فإذا فرطت المرأة في بيتها وأسرتها فقد هدمت أساس مجتمعها .
- ٦ - لزوم الستر وتجنب التبرج وإظهار الزينة للرجال الأجانب ﴿ولا تيرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ فهي عنه ثم نسبه للجاهلية لتأكيد التحريم .
- ٧ - المحافظة على الصلوات ﴿وأقمن الصلاة﴾ على أكمل وجه لتطهير النفس .
- ٨ - وإيتاء الزكاة ﴿وآتين الزكاة﴾ الفريضة والصدقة لتطهير المال .
- ٩ - لزوم الطاعة ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ .
- ١٠ - تلاوة القرآن وتعلم الأحكام ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ وهي السنة .
- ١١ - الستر في اللباس وإرخاؤه عند خشية الأذى ﴿يدنين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ .
- ١٢ - التسليم للحكم ﴿إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ .

#### ❁ اشتمل التطهير على :

تطهير الباطن بالتقوى  
والظاهر بالحشمة  
وتطهير القول بالمعروف  
والفعل بالإحسان  
وتطهير النفس بالصلوات  
والمال بالزكاة .

﴿ نظمت الأحزاب في آية ٣٥ جوامع الخير كله في (١):

الإسلام

الإيمان

القنوت في الصلوات

الصدق

الصبر

الخشوع

الزكاة

الصوم

حفظ الفروج

ذكر الله.

﴿ تطهير الظاهر يكون بالإسلام

والباطن بالإيمان

واللسان بالصدق

والنفس بالصلاة والصبر والذكر

والمال بالزكاة

والعرض بالعفاف والستر.

﴿ ونكمل غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وكيف أراد المشركون الجاهليون هدم المدينة فحماها الله خارجيا وداخليا إيمانيا وأخلاقيا.

﴿ بشرت سورة الأحزاب باحتفاء السماء بالمؤمنين مقابل حصار أهل الأرض لهم ظلما ﴿إن المسلمين والمسلمات... أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾.

﴿ أكرم الله المؤمنين جزاء صبرهم وثباتهم برحمتهم وهدايتهم إلى نور صراطه ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾.

﴿ صلاة الله على المؤمنين رحمته بهم وهدايته لهم، وصلاة الملائكة عليهم بذكرهم في الملائكة الأعلى واستغفارهم لهم ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ (٢).

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصامتين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾.

(٢) غافر : ٧

﴿ جعل الله ذكر المؤمنين له شرطا لصلاته عليهم ﴾ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذي يصلي عليهم﴾ .

﴿ ذكر الله يعم كل أنواع الذكر وأعظمه إقامة الصلوات ﴾ وأقم الصلاة لذكري﴾<sup>(١)</sup> ومناسك الحج ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾<sup>(٢)</sup> وكل عبادة هي ذكر له .

﴿ ذكر الله للمؤمنين هو بسبب ذكركم وعبادتهم له أما هدايته لهم فمحض فضله ورحمته ﴾ ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ .

﴿ قدم الله ذكر الأسباب المقدورة للمؤمنين ليتوسلوا بها إليه كشرط لذكره لهم ﴾ فاذكروني أذكركم﴾<sup>(٣)</sup> ثم نبههم بأن ذكركم له هو بتوفيق منه لهم.

﴿ الرحيم اسم من أسماء الله يدل على اتصافه بأبلغ معاني الرحمة بعباده التي تظهر تجلياتها في دخولهم الجنة ولهذا خص بها المؤمنين وحدهم.

﴿ استخدم أسلوب القصر بتقديم الجار والمجرور ﴾ وكان بالمؤمنين رحيما﴾ مع شمول رحمته للخلق لنفي تعلق هذه الصفة (الرحيم) بغير المؤمنين به.

﴿ الرحمن اسم لله دل على اتصافه باتساع الرحمة التي تعم مخلوقاته إيجابا وإمدادا بخلاف الرحيم التي تدل على بلوغ الرحمة غايتها بالهداية.

﴿ بين الله كمال رحمته بالمؤمنين بدخولهم جنته وتحيتهم بلقاء ربهم ﴾ وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ .

﴿ هذا التوفيق من الله للمؤمنين بالهداية ودخول الجنة ما كان ليتحقق لهم إلا بالنبوة فذكر به ﴾ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا...﴾ .

(١) طه : ١٤

(٢) البقرة : ٢٠٣

(٣) البقرة : ١٥٢

❁ فالنبي هو الدليل إلى الله حيث بعثه ﴿داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ فكل ما يأمرهم به هو بإذن الله وأمره فهو الهادي إلى صراطه.

❁ من مهام النبي تبشير المؤمنين بما أعده الله لهم ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ كل ذلك احتفاء وتكريم للمؤمنين من ربهم.

❁ أوجزت السورة سبيل الفوز ﴿اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾.

❁ مما أكرم الله به المؤمنين في الأحزاب:

نصرهم  
الصلاة عليهم  
الهداية لهم  
الرحمة بهم  
البشارة لهم  
التوبة عليهم  
دخول الجنة  
الفوز العظيم.

❁ نكمل غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وكيف كان جزاء صبر المؤمنين كل هذا التكريم السماوي حين حاربهم طغاة الأرض من عرب ويهود.

❁ اجتمع في سورة الأحزاب صور دلالة الإعجاز:

- ١ - البياني
- ٢ - التشريعي
- ٣ - الغيبي
- ٤ - الخبري
- ٥ - النفسي
- ٦ - التربوي
- ٧ - الرقمي
- ٨ - التجريدي<sup>(١)</sup>

(١) الإعجاز التجريدي: هو الانفصال التام بين القرآن كوشي من الله والنبي كميلغ له عن الله من أوله إلى آخره على نحو معجز مبهر. (من تغريدات الدكتور)



✿ تجلى في السورة أبرز خصائص الوحي القرآني وهو انفكاكه عن النبي وقصر دوره على البلاغ ولهذا وجه الأمر له ابتداءً ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾.

✿ نوعت السورة أسلوب خطابها للنبي لتأكيد بشريته بالأمر تارة وبالإخبار تارة وبالحديث عن نسائه تارة وعن خفايا نفسه تارة وعن عدم علمه تارة.

✿ جاءت الأوامر للنبي

﴿ولا تطع الكافرين...﴾

﴿واتبع ما يوحى إليك...﴾

﴿وتوكل على الله﴾.

للتأكيد على نبوته ومخاطبة الوحي له وانفكاكه عنه.

✿ من الأسلوب القرآني المعجز خطابه للنبي وإخباره عنه بالوحي إليه ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك﴾ فهو نبي مرسل يتلقى من ربه وحيه.

✿ من أسلوب القرآن المعجز حديثه عن خاص حياة النبي ﴿قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا﴾.

✿ من أسلوب القرآن المعجز خطابه لنساء النبي ﴿من يأت منك بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب﴾ وهو تجريد للوحي كخطاب الله عن النبي كمبلغ.

✿ من أسلوب الوحي المعجز حديثه عما يخفيه النبي في نفسه ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ أي تحاذر كلام الناس.

✿ من إعجاز الوحي وتجريده مقام الألوهية عن النبوة نفي علم النبي عما لم يعلمه الله به ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾.

✿ من التجريد القرآني انتظار النبي للأمر الرباني وعدم التقدم عليه ﴿لئن لم ينته المنافقون... لنغرینک بهم﴾ فلم يغيره واقتصر على التهديد.

✿ من الأسلوب القرآني المعجز في تجريد الخطاب عن البلاغ حديثه عن خلق النبي ﴿إن ذلكم كان يؤدي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق﴾.

✿ عبرت سورة الأحزاب عن عظمة الوحي القرآني فبينما تتحدث عن الحرب والأحكام السياسية إذا هي تتحدث عن أخص شئون النبي والأحكام الأسرية.

✿ تؤكد سورة الأحزاب في تنوع موضوعاتها وقضاياها أن ﴿هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾<sup>(١)</sup> في كل شئون الحياة ومجالاتها السياسية كما الأسرية.

✿ نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) فيما في سورة الأحزاب من حكم وأسرار تعالج مشكلات المجتمع الإنساني والإيماني بهدايات الوحي القرآني.

✿ من صور الإعجاز العددي في سورة الأحزاب:

١ - وردت كلمة (الأحزاب) ثلاث مرات والأحزاب كانت ثلاث قبائل قريش وغطفان وقريظة من ثلاث مناطق.

٢ - من الإعجاز العددي في سورة الأحزاب ورود كلمة أزواج ونساء مضافة للنبي ٩ مرات وهو عدد أزواجه.

- ماملكت يمينك وردت مرتين إلا إن الأولى في سياق ما يحل للنبي والثانية في سياق المنع.

- وقد كان عنده سریتان مارية وريحانة فأعتق ریحانة وبقیت مارية.

- وهذا المنصوص عليه في كتب السير كما قال ابن كثير أن له سریتين

هما: مارية وريحانة

(وقد كان له من السراري اثنتان. وهما: مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم ولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم، أهداها له المقوقس صاحب إسكندرية ومصر، و

(١) الإسراء : ٩

معها أختها شيرين و خصي يقال له مابور و بغلة يقال لها: الدلدل، فوهب صلى الله عليه و سلم شيرين إلى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن<sup>(١)</sup>.

- لما كانت الآية الأولى فيها بيان ما أحل الله له من النساء والإماء والآية الثانية فيها المنع من غيرهن رجح عندي مارية.

- فريحانة كما ذكر أهل السير لم تبق عنده بخلاف مارية وفي كلا القولين ذكرها مرتين قد يشير لهما.

(وتوفيت مارية في محرم سنة ست عشرة، و كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحشر الناس لجنائزها بنفسه، و صلى عليها و دفنها بالبقيع رضي الله عنها.

وأما الثانية فريحانة بنت عمرو، و قيل: بنت زيد، اصطفاها من بني قريظة وتسرى بها، ويقال: إنه تزوجها، وقيل: بل تسرى بها، ثم أعتقها فلحقت بأهلها. و ذكر بعض المتأخرين أنه تسرى أمتين أخريين، والله تعالى أعلم<sup>(٢)</sup>).

❁ وهذه لطائف في التفسير لا يشترط فيها الظهور بل الإشارة والإيماء كافيان لمن أراد تدبر القرآن والوقوف على أسرارہ.

٣ - من الإعجاز العددي أن عدد آيات السورة ٧٣ وعدد الرجال الذين بايعوا في العقبة ٧٣ وفيها ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله﴾.

٤ - من الإعجاز العددي في سورة الأحزاب ورود كلمة ﴿رسول الله﴾ و﴿رسوله﴾ و﴿الرسول﴾ في ١٢ آية ومثلها كلمة ﴿النبي﴾ في ١٢ آية.

٥ - عدد الآيات التي ورد فيها كلمة رسول ونبي مرادا بهما النبي محمد تحديدا ٢٣ آية وهي مدة بعثته وهي أكثر سورة تكرر فيها ورود ذلك.

❁ الحكمة من تكرار هذا الوصف بالنبوة والرسالة لشدة ما أثاره المنافقون من الطعن في نبوته وأنه ما وعدهم إلا غرورا فجاء ردا عليهم.

٦ - ورد في سورة الأحزاب ذكر اسمه ﴿محمد﴾ مرة واحدة وكذا وصفه ﴿خاتم النبيين﴾ مرة واحدة فلم يحتج لتعيينه بذكر اسمه العلم أكثر من مرة.

٧ - ورد اسم ﴿يثرب﴾ مرة واحدة في سياق حصار الأحزاب على لسان المنافقين وورد ذكر اسم ﴿المدينة﴾ مرة واحدة وكانت بعد النصر إيذانا بالفتح.

(١) الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير (١٠٩/١).

(٢) المصدر السابق.

❁ لم يذكر اسم المدينة إلا في سورة الأحزاب في سياق خبر الخندق سنة ٥ هـ وفي المنافقون بعد الأحزاب والتوبة في خبر غزوة العسرة سنة ٩ هـ.

❁ ورود اسم يثرب في سورة الأحزاب في سياق الحصار ثم اسم المدينة بعد النصر إعلان لنهاية ذلك الاسم الجاهلي وظهور الاسم المدني الإسلامي.

❁ قول المنافقين ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم﴾ فال عليهم بنهاية عهده فلم يبق للجاهلية واليهود مقام بعد هزيمة الأحزاب.

❁ بعد هزيمة الأحزاب كانت نهاية بني قريظة الذين خانوا ونقضوا عهدهم مع النبي وهم آخر من بقي من يهود في يثرب فظهرت منهم لتصبح المدينة.

٨- لم ترد كلمة ﴿المعوقين﴾ في القرآن إلا في سورة الأحزاب مرة واحدة وكأن دورهم لن يدوم بعد الخندق وسيكون الفتح الذي لن يعوقه أحد.

٩- لم ترد كلمة ﴿صياصيم﴾ في القرآن إلا في سورة الأحزاب مرة واحدة وهي قلاع بني قريظة إذ تم فتحها وانتهى أمرهم بعده ﴿وأورثكم أرضهم﴾.

❁ هذه الموافقات العددية في القرآن وتناسبها على هذا النحو دليل على إعجازه وهو أحد وجوه الإعجاز العلمي فيه ودليل إحكامه وعدم اختلافه.

❁ نكمل (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وما فيها من أحكام وحكم وهدايات وإعجاز ومنه الإعجاز التشريعي وسنتحدث عنه بإذن الله غدا.

❁ (نظرات قرآنية) هي سوانح تعرض أثناء تدبره وتفكره للوقوف على هداياته وأحكامه وحكمه ودلائل إعجازه على اختلاف وجوهها ظاهريا وإشاريا.

❁ من الإعجاز القرآني في سورة الأحزاب الإعجاز التشريعي وهو تفصيل الأحكام على نحو من الاتساق المحكم الذي لا يمكن الاستدراك عليه أبدا.

❁ من الإعجاز التشريعي في الأحزاب تضمنها وانتظامها كل أحكام نساء النبي وأمته المؤمنين مبنوثة في السورة كلها في أولها ووسطها وآخرها.

❁ من الإعجاز التشريعي في السورة الحصر للأقسام كما فيمن أذن الله لهم بروية أمهات المؤمنين ❁ لا جناح عليهن في آبائهن ولا في أبنائهن...❁.

❁ ذكرت الآية ٥٥ كل من أذن الله له بروية نساء النبي بلا حجاب في آية واحدة<sup>(١)</sup> جمعت بين العد والحصر لهم بما لا يمكن معه الاستدراك عليها.

❁ ذكرت الآية ٥٥ الآباء والأبناء والإخوان وأبناء الأخ وأبناء الأخت فدخل بالقياس الجلي الأجداد والأحفاد والأعمام والأخوال فلم يبق أحد.

❁ ورد في السورة حكم المطلقة قبل الدخول بها وأنه لا عدة عليها لتكتمل أحكام العدة في سورة البقرة والطلاق في غاية الأحكام والحصر للصور.

❁ في البقرة عدة الحائض ٣ حيضات والمتوفى عنها ٤ أشهر و ١٠ أيام وفي سورة الطلاق عدة من لم تبلغ الحيض واليائس منه ٣ أشهر والحامل بالوضع.

❁ جاءت كل أحكام العدة لكل صور المعتدات المتوفى عنهن والمطلقات في أربع آيات في ثلاث سور وهي البقرة والأحزاب والطلاق في غاية الأحكام.

❁ المرأة إما أن تقع فرقتها من زوجها بوفاة أو طلاق والوفاة إما حامل أو لا والطلاق إما قبل الدخول أو بعده والمدخول بها ذات حيض أو لا.

❁ التفريق بين المعتدات في الحكم في غاية المناسبة عقلا فغير المدخول بها لا تحتاج لعدة من طلاق لبراءة رحمها والحامل بوضع حملها... الخ.

❁ الحصر للمعتدات والتقسيم لصور العدة والتفريق بين كل صورة وأخرى في الحكم والمدة حتى لا تفوت صورة من الصور بأوجز لفظ وأحكمه أمر معجز.

❁ نكمل بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب لنقف على بعض أوجه الإعجاز البياني فيها.

(١) الآية ٥٥ من سورة الأحزاب: {لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولأما ملكت أيمانهم واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا}.

❁ من صور الإعجاز القرآني في سورة الأحزاب نظمها وترتيبها ومطالعها وخواتمها وتناسبه مع أن نزولها كان مفرقاً ما بين سنة ٥ إلى ٨ أو ٩ هـ.

❁ ترتيب سور القرآن كآياته كل ذلك توقيفي عن النبي وكمل في آخر عرضة للوحي مع اختلاف أوقات النزول وقد جاءت الأحزاب بعد السجدة وقبل سبأ.

❁ السجدة مكية افتتحت بتعظيم شأن الوحي وأنه الحق واختتمت ﴿ويقولون متى هذا الفتح... وانتظر إنهم منتظرون﴾<sup>(١)</sup> وبعدها أتت الأحزاب أول الفتح.

❁ جاءت سورة سبأ وهي مكية بعد الأحزاب وافتتحت بالحمد لله لمناسبة الحمد لما جرى من النصر في الأحزاب وللتشابه بين نهاية اليهود وسبأ.

❁ مزق الله يهود يثرب بعد الأحزاب بسبب خيانتهم وطغيانهم كما فعل بأهل سبأ ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا... فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ يظهر التناسب بين خاتمة السجدة بانتظار الفتح وآخر الأحزاب بالوعيد بعذاب المشركين وسبأ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم﴾<sup>(٣)</sup>.

❁ ورد آخر السجدة شرط ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾<sup>(٤)</sup> وتحقق مثله في الأحزاب ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم﴾.

❁ جاءت سورة السجدة المكية بالوعد بالفتح وبالإمامة في الأرض لمن آمنوا إذا صبروا وجاءت الأحزاب بتحقيق الوعد وكانت سبأ المثل والعبرة.

❁ سكن يهود بني قينقاع والنضير وبني قريظة يثرب فراراً من الاضطهاد الروماني فأكرمهم العرب واغتنوا فطغوا فمزقهم الله كما فعل بأهل سبأ.

(١) السجدة : ٢٨ - ٣٠

(٢) سبأ : ١٧ - ١٩

(٣) سبأ : ٥٤

(٤) السجدة : ٢٤

✿ جاء اليهود المعاصرون إلى فلسطين فرارا من اضطهاد الروم الأوربيين ثم غدروا بالعرب وحرصوا العالم على حربهم وطغوا وستجري عليهم السنن.

✿ من نظر في حال يهود يثرب وحلفائهم من العرب وتآمرهم على الإسلام ثم ما حل بهم من العقاب ونظر في حال يهود فلسطين علم حتمية نهايتهم.

✿ كان يهود يثرب كما وصفهم الله ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا﴾<sup>(١)</sup> وهذا حال يهود إسرائيل وحلفائهم من العرب.

✿ ونكمل غدا بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب.

✿ من صور الإعجاز في سورة الأحزاب مطالعها وتضمينها كل موضوعاتها إجمالا ثم تفصيلها بعد ذلك وختمها على نحو من التناسق والاتساق المعجز.

✿ بدأت ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ ﴿وما جعل أدياءكم أبناءكم﴾ ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ ثم فصلت في هذه القضايا.

✿ من أجمل مطالع سورة الأحزاب ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدياءكم أبناءكم...﴾.

✿ ربطت الآية بين تحريم ادعاء الولد بالتبني وظهار الزوجات بوصف الأمهات بموضوع النفاق بادعاء الإيمان واستبطان الكفر به لمنافاتها للحقيقة.

✿ عللت الآية الحكم بقوله تعالى: ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ فالحق منه وحده والهداية إليه اصطفاء بيد الله وحده.

✿ كما أن الظهار من الزوجة بوصف الأم وتبني الابن الأجنبي بوصف الولد لا حقيقة لهما كذلك التظاهر بادعاء الإيمان مع إضمار الكفر لا حقيقة له.

(١) المائدة : ٦٤

❁ قول الله: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ مع كونه حقيقة طبيعية حسية إلا إن فيه إشارة إلى أن القلب لا يجتمع فيه الإيمان والكفر بالله.

❁ لما كان النفاق والكفر كلاهما ينافي الإيمان جمعت السورة بينهما في مطلعها ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ ممن أظهروا جحودهم أو أخفوه.

❁ جاء في مطلع السورة ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ وفي خاتمتها قول الكفار وهم في النار ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾.

❁ إذا كان الله هو مصدر الحق وهادي السبيل فإن من يصد عن الحق هم الرؤساء الظالمون والعلماء المضلون ﴿أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾.

❁ الطاعة للأنبياء والاتباع سبب الهداية وسبب الصراع بين الله والطغاة فهم من ينازعونه حق الطاعة على العباد ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع﴾<sup>(١)</sup>.

❁ كانت ربوبية فرعون هي في طاعة قومه له واتباعهم أمره ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾<sup>(٣)</sup> فحذرت الأحزاب من ذلك.

❁ كررت السورة في مطلعها ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ وفي وسطها ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ لتعارضه مع طاعة الله.

❁ لا يقبل من عبد الإيمان بالله ورسوله وطاعتها وطاعة الكفار والمنافقين ومولاتهم فليس أمرهما ولا سبيلهما واحد وما جعل الله لبشر من قلبين.

❁ جاءت خاتمة السورة متناسقة مع مطلعها ففيها الوعيد للفتن ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ جزاء كفرهم بالله.

(١) النساء : ٦٤

(٢) الزخرف : ٥٤

(٣) هود : ٩٧



- ❁ نستأنف (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب بعد أن شغلنا بالأمس بما جرى في مصر<sup>(١)</sup> وسوريا حفظهما الله من كيد الأحزاب ومؤامراتهم في الخارج والداخل.
- ❁ من دلائل إعجاز القرآن خواتيم الآيات القرآنية كما في الأحزاب وهي تأتي للتعليل أو التدليل أو التأكيد أو الربط بين الأسباب والنتائج.
- ❁ أمر الله نبيه ﴿اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ وختم ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ فهو عليم بأحوالك وأحوالهم وحكيم في تشريع ما يصلح لك ولهم.
- ❁ العليم صيغة مبالغة من عالم ودخلت عليه أل فأفادت الشمول والاستغراق والعلم المطلق بكل شيء وهو وصف لله ذاتي أزلي ومثله وصفه بالحكيم.
- ❁ الحكيم هو الذي يخلق ويقدر ويفعل بحكمة فلا يقع في خلقه وتقديره وفعله خلل ولا عبث ﴿أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾<sup>(٢)</sup>.
- ❁ ختم الأمر والنهي ﴿اتق الله... ولا تطع...﴾ بالوصف ﴿عليماً حكيماً﴾ لتعليل الحكم وأن أوامره ونواهيه في غاية الحكمة وعن غاية العلم بخلقه.
- ❁ جاء في الآية الثانية ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فهو خبير بأعمالكم وما يوافق منها وحيه وأمره ويخالف.
- ❁ أمر الله رسوله بالتوكل عليه في آية ٣ ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ تعليلاً للأمر فهو وحده الكافي لعبده فاستحق التوكل عليه وحده.
- ❁ ختم آية ٥ ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً﴾ لمناسبة مغفرته ورحمته عدم المؤاخظة على الخطأ.

(١) (١٨ رمضان ١٤٣٤هـ - ٢٧ يوليو ٢٠١٣م) مذبحه المنصة في مصر، التي راح ضحيتها عشرات الشهداء من المعتصمين السلميين على يد قوات الانقلاب العسكري.  
(٢) المؤمنون : ١١٥

﴿أخبر سبحانه أنه ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه...﴾ وحرَم الظهار والتبني ثم قال ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ لبيان بطلان أقوالهم.

﴿جرت سورة الأحزاب كلها على هذا السنن في توافق منسجم وتطابق محكم بين مطلع كل آية وخاتمتها وتناسب وتناسق بين الحكم وتعليقه وتدليله.

﴿من إعجاز القرآن البياني المقابلة بين الأضداد فالكفار يحاصرون المدينة من الخارج والمنافقون من الداخل ويقابلهم المؤمنون والمهاجرون.

﴿المؤمنون والمهاجرون في آية ٦ من الأحزاب<sup>(١)</sup> يشملان أهل المدينة الذين حموا الدار والإيمان من داخلها والمهاجرون الذي جاؤوها من خارجها.

﴿قابل بين الرجس ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾

فعم كل صور الرجس الحسي والمعنوي الظاهر والباطن والتطهير ﴿ويطهركم تطهيرا﴾ من كل صور الرجس وآفاته.

﴿ليس في قدرة بشر مهما أوتي من البيان الإتيان بمثل هذا القرآن ولا بسورة مثله على هذا النحو المحكم في ألفاظه وأحكامه وحكمه وأخباره.

﴿ونكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في هدايات سورة الأحزاب.

﴿من هدايات سورة الأحزاب حديثها عن القلب وأحواله وعن القلوب وأمراضها وما يعترئها ويعرض لها وكيف علاجها وتطهيرها من آفاتها وعللها.

﴿تحدثت السورة في مطلعها عن القلب ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ثم فصلت في أحوال القلوب وأعمالها فهي محل الإرادات والواردات.

﴿نفت السورة في مطلعها أن يكون للإنسان قلبان في جوفه وفيه تنبيه إلى أن هدايات القرآن لا يعقلها إلا من آمن به وأقبل عليه بكل قلبه.

(١) الآية السادسة من سورة الأحزاب: {الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تقولوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً}.

- ❁ تحدثت آية ه عن عمل القلب ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ فالأعمال بالنيات ولا مواخذه على الخطأ لعدم القصد .
- ❁ عبادات القلوب أصل الأعمال ومناط الحساب والجزاء كما في الصحيح (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).
- ❁ أكثرت السورة من ذكر عبادة القلب كالتقوى ﴿اتق الله﴾ والتوكل ﴿وتوكل على الله﴾ والرجاء ﴿يرجو الله واليوم الآخر﴾ والتصديق ﴿وصدق الله﴾.
- ❁ ذكرت السورة أحوال الواردات على قلوب أهل الإيمان ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾.
- ❁ من أجل عبادات القلب وأشرف مقامات التوحيد خشية الله وحده ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ إذ لا رب سواه.
- ❁ جعل الله ظواهر الأعمال منوطة بالقلوب فلا عبرة بأعمال المنافقين وتظاهرهم بالإيمان إذ أضمرت قلوبهم نقيضه ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾.
- ❁ تحدثت السورة عما يعترى القلوب حين الخوف ﴿وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾ وضعف القلب حال الطمع ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾.
- ❁ يعتل القلب بأمراض الشبهات كالشك والريب كالمنافقين وأشباههم ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾.
- ❁ من آفات القلوب أمراض الشهوات وما يعترى أهل المعاصي من حبهم لها ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ الشهوة والميل للفجور.

❁ قصدت السورة بأحكامها وتشريعاتها وآدابها تحقيق طهارة الظاهر ﴿ليذهب عنكم الرجس... ويظهركم تطهيرا﴾ وطهارة الباطن ﴿ذلكم أظهر لقلوبكم﴾.

❁ أمر الله عباده بإصلاح ظواهرهم وبواطنهم بالإيمان والعمل الصالح لاطلاعه عليهم ﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما﴾.

❁ اشتملت السورة على إصلاح قلب الإنسان ونفي الآفات عنه وحمايته وتطهيره كما عنيت بعلاج الأسرة وصيانتها وتطهيرها وحفظ الدولة وصيانتها.

❁ نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وهداياتها.

❁ بينت سورة الأحزاب حقوق النبي ومكانته وما يجب له على المؤمنين بعد أن وجهت له الخطاب في أولها بالنداء بوصف النبوة ﴿يا أيها النبي﴾.

❁ أول حقوق النبي ولايته على الأمة إلى قيام الساعة ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فلا ولي ولا ولاية لأحد مع ولايته.

❁ ولاية النبي على الأمة ولاية عامة دائمة لازمة توجب طاعته مطلقا وكل ولاية في الأمة في حياته وبعد وفاته دون ولايته وتابعة لولايته.

❁ أكدت السورة عموم ولايته ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللا مبينا﴾.

❁ قضاء النبي فرع عن ولايته المطلقة على الأمة التي هي فرع عن نبوته الخاتمة فكل قضاء يقضى فيه فهو نافذ على الأمة في حياته وبعد وفاته.

❁ كل أمر يخالف أمر النبي وكل قضاء يخالف قضاءه فهو باطل ومردود ولا يترتب عليه أثر وكل نزاع فهو الحاكم فيه ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾<sup>(١)</sup>.

(١) النساء : ٥٩

﴿أُجِبَتِ السُّورَةُ تَوْقِيرَ النَّبِيِّ وَإِجْلَالَهُ وَحُرْمَتَ إِيْذَاءِهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ أُمَّتِهِ  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا...﴾.

﴿حُرِّمَتِ السُّورَةُ إِيْذَاءَ النَّبِيِّ فِي أَهْلِهِ﴾ ﴿إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا  
يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.

﴿حُرِّمَتِ السُّورَةُ إِيْذَاءَ النَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَأَسْرَتِهِ الْكَبِيرَةِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانَا وَآثِمًا مَبِينًا﴾.

﴿لَا فَرْقَ بَيْنَ أُسْرَةِ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ وَأُمَّتِهِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿فَعُدَّوْهُمَا وَاحِدًا وَوَلِيِّهُمَا وَاحِدًا﴾.

﴿ذُكِرَتِ السُّورَةُ كُلُّ صُورِ الْأَذَى الَّتِي تَعْرُضُ لَهَا النَّبِيُّ فِي حَرْبِ الْكُفَّارِ لَهُ وَحِصَارِهِمْ  
لِلْمَدِينَةِ وَتَكْذِيبِ الْمُنَافِقِينَ لَهُ وَسَخْرِيَّتِهِمْ مِنْهُ وَتَأْمَرِ الْيَهُودِ عَلَيْهِ﴾.

﴿وَذُكِرَتِ الْأَذَى الَّذِي يَتَعْرَضُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْمَدِينَةِ كَمَا ذُكِرَتِ الْأَذَى الَّذِي يَتَعْرَضُ لَهُ  
النَّبِيُّ فِي بَيْتِهِ وَفِي أَهْلِهِ وَكَأَنَّمَا لَا فَرْقَ بَيْنَ أُمَّتِهِ وَأَسْرَتِهِ﴾.

﴿حُذِرَتِ السُّورَةُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ ﴿لِيُعَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ ﴿وَبَشَّرَتْ﴾ ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

﴿ذُكِرَتِ السُّورَةُ الْأَذَى الَّذِي لَحِقَ مُوسَى﴾ ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا  
وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿وَكَذَا النَّبِيُّ بَرَّاهُ اللَّهُ وَجَعَلَ لَهُ أَعْظَمَ جَاهٍ﴾.

﴿وَنَكَمَلُ غَدَا بِإِذْنِ اللَّهِ (نَظَرَاتٍ قَرَأْنِيَّةٍ) فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَهَدَايَاتِهَا﴾.

﴿وَرَدَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ آيَاتَانِ هُمَا مِنْ أَعْظَمِ مَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ تَكْرِيمِ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يَصْلِي  
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ ﴿وَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

❁ ذكر الله هو سبب صلاته على المؤمنين حيث أمرهم به قبلها ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾.

❁ الصلوات أشرف مواطن ذكر الله وتسبيحه بكرة وأصيلا ولهذا جاء في الصحيح (الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه تقول اللهم اغفر له...) (١).

❁ إذا كان ذكر الله سببا لصلاته على عباده فإن النتيجة هي هدايتهم ﴿يصلي عليكم... ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾.

❁ صلاة الله على المؤمنين رحمته بهم ومغفرته لهم وبركته عليهم وهدايته لهم وصلاة الملائكة هي استغفارها للمؤمنين وسؤال الله لهم الرحمة.

❁ تتجلى بالذكر والصلوات من المؤمنين لربهم ومن الله وملائكته على عباده حقيقة الوجود وارتباط عالم الشهادة المحدود بعالم الغيب الممدود.

❁ بذكر الله كثيرا تتحقق للمؤمن مرتبة الولاية وثمرتها الهداية والوقاية (وما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه...) (٢).

❁ حاجة المؤمن لهداية الله له إلى كل خير دائمة متجددة سواء قبل الإيمان وبعده لهذا عبر بالفعل المضارع ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾.

❁ الإنسان خلق ﴿ظلوما جهولا﴾ حتى يعلمه الله ويهديه صراطه المستقيم وفي الحديث القدسي (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) (٣).

❁ كلما اتصل المؤمن بالسماء بذكر الله كثيرا والصلوات استمد بقدر اتصاله من هداياتها ونورها ما يضيء له ظلمات الأرض ويدفع عنه شرورها.

❁ لما كان النبي صلى الله عليه وسلم هو سبب الهداية التي تخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور في كل شئون حياتهم أمر الله بالصلاة عليه.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

- ❁ قدم الله ذكر صلواته وملائكته على المؤمنين جميعا وأولهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصه بالشرف والتكريم بإفراده تنويها بحقه عليهم.
- ❁ وغدا نكمل بإذن الله (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وما ورد فيها من الأمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما فيه من هدايات.
- ❁ أكرم الله نبيه جزاء صبره على إبلاغ رسالته ورحمته بأمته أن شرفه بالذكر في السماء والأرض ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾<sup>(١)</sup> ولهذا أوجب الصلاة عليه.
- ❁ كان يوم الأحزاب أشد أيام المحن على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين فكان الجزاء تكريم الله لهم بصلواته وملائكة السماء عليهم.
- ❁ أخبر الله في سورة الأحزاب ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ وهو بشر من ذرية آدم بلغ هذا المقام بكمال عبوديته لله واختيار الله له.
- ❁ قدم الله ذكر صلواته وملائكته على نبيه قبل أمر المؤمنين بالصلاة عليه تعظيما لمقامه عند ربه فإذا كان هذا شأنه في السماء فالأرض أولى.
- ❁ إذا كانت السماء كلها تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم بالرحمة والحمد والهداية والنصرة والدعاء فلن يبلغ أهل الأرض بصلاتهم وفاء حقه.
- ❁ أمر الله المؤمنين أن يصلوا ويسلموا على نبيه ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ فوصفهم بالإيمان يقتضي منهم صلواتهم عليه.
- ❁ علم النبي أمته كيف يصلون عليه ومن ذلك في التشهد (اللهم صل على محمد) فهم يسألون الله أن يصلي عليه لأنهم لا يستطيعون أداء حقه عليهم.
- ❁ من الأذكار المشروعة المطلقة بلا عدد ولا وقت الصلاة على النبي فهي عبادة وذكر في حد ذاتها (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا)<sup>(٢)</sup>.

(١) الشرح : ٤  
(٢) رواه مسلم.

❁ تشرع الصلاة على النبي في مواطن كثيرة كما في:

- التشهد في الصلوات وهو واجب.
- بعد التكبيرة الثانية في الجنازة.
- بعد كل أذان.
- عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم.

❁ من مواطن الصلاة على النبي أيضا:

- عند دخول المسجد.
- وبعد الدعاء.
- وعند الصفا والمروة.
- وفي خطبة الجمعة.
- والإكثار منها يوم الجمعة وليلتها.

❁ كثرة الصلاة على النبي تعني استحضاره الدائم ذهنيا مما يورث محبته وهي شرط الإيمان (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده)<sup>(١)</sup>.

❁ شرط الله لتحقيق محبته اتباع رسوله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾<sup>(٢)</sup> ولا يتحقق كمال الاتباع إلا بكمال المحبة والصلاة سبب.

❁ جعل الله الإكثار من الصلاة على نبيه سببا لمغفرة الذنوب وكشف الهموم كما قال كعب (أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك)<sup>(٣)</sup>.

❁ كفاية الهموم وتفريج الكرب أمر مجرب لمن داوم على الصلاة على النبي لأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا وصلاة الله رحمته وسكينته.

❁ الصلاة على النبي بمعناها المخصوص دعاء له وثناء عليه وردت بصيغ كثيرة حيث علم النبي أصحابه كيف يصلون عليه كما أمرهم ربهم ومن ذلك.

❁ (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري ومسلم.

(٢) آل عمران : ٣١

(٣) الترمذي.

(٤) الصيغة الكاملة للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وردت في صحيح البخاري، والتغريدة الأصلية كان فيها بعض الاختصار فرضه التغريد.



❁ الاتصال الدائم بين أهل السماء والأرض والواسطة بينهما وهو النبي بالصلوات منهم لله بالحمد ومنه عليهم بالرحمة يعبر عن حقيقة السلام.

❁ غدا بإذن الله نتحدث عن حقيقة السلام في قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ في (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب.

❁ أمر الله المؤمنين بعد أن يصلوا على النبي بالدعاء له والثناء إجلالا لمقامه وتوقيرا وحباً وتعزيراً أن يسلموا تسليماً ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

❁ حذف المتعلق والمعمول في ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فلم يحدد بماذا يكون التسليم وكيف يكون ليفيد العموم لكل صور السلام والتسليم على النبي وله.

❁ وردت صيغة التسليم هنا في سورة الأحزاب آية ٥٦ ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وفي النساء آية ٦٥ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا... وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

❁ ورد التسليم كشرط لتحقيق الإيمان ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا... وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> وكقسيم له وهو العمل ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

❁ ﴿سَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ تشمل كل معانيها فتعني:

- ١ - سلموا عليه وحيوه إجلالا وتوقيرا.
- ٢ - سلموا له وأذعنوا وانقادوا لأمره ونهيه وحكمه إيمانا وتعزيرا.

❁ ﴿سَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أمر من الله يوجب على عباده التسليم المطلق بالطاعة وسلم نفسه لله وأسلمها له جعلها خالصة له سالمة من شرك لغيره فيها.

❁ اقترن التسليم بالإيمان في سورة الأحزاب ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾  
فالإيمان بالغيب والوعد الحق  
والتسليم للأمر والنهي والحكم.

(١) النساء : ٦٥

❁ أمر الله المؤمنين بالدخول في الإسلام كله ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾<sup>(١)</sup>  
فالإيمان يقتضي العمل ولزوم شرائع الإسلام كلها.

❁ أمر الله المؤمنين أن يسلموا له ﴿تسليماً﴾ كاملاً لا نقص فيه ولا خلل  
وشاملاً لا تحرج فيه ولا تردد فيشترك في ذلك العقل والقلب والبدن.

❁ الله هو (السلام) ومنه (السلام) ويدعو ﴿إلى دار السلام﴾<sup>(٢)</sup> ودينه (الإسلام) وتحيته  
(السلام) وعباده (المسلمون) وأمرهم أن يسلموا ليسلموا.

❁ تعبر ﴿وسلموا تسليماً﴾ عن حقيقة (الإسلام) وهو الاستسلام لله والوسيلة إلى تحقيق  
(السلام) في الأرض والدخول إلى (دار السلام) في الآخرة .

❁ نكمل بإذن الله غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب في أوصاف النبي صلى الله عليه  
وسلم صلاة وسلاماً يرضى الله بها عنا وتشفع لنا عنده.

❁ ورد في سورة الأحزاب أشرف أوصاف النبي وأعظمها ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً  
ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾.

❁ جاء قبل هذه الأوصاف في آية ٤٠ ذكر اسمه ووصفه الجامع ﴿محمد... رسول الله وخاتم  
النبيين﴾ واسمه هو وصفه المحمود الذي بشرت به الأنبياء.

❁ اشتملت الآيتان على وصف

النبوة

والرسالة

والشهادة

والبشارة

والنذارة

والدعاية

والهداية.

(١) البقرة : ٢٠٨

(٢) يونس : ٢٥

- ✽ ووردت بالتسلسل المنطقي العقلي على نسق فريد  
النبوة هي أول ما بدأ به الوحي ثم أمر بالرسالة والبلاغ ثم كان شاهداً بالبشارة لمن آمن  
والنذارة لمن كفر ثم داعياً وهادياً لمن اتبعوه.
- ✽ بشرت جميع الرسل بمحمد وبرسالته وبأتمته كما قال عيسى ﴿ومبشراً برسول يأتي من  
بعدي اسمه أحمد﴾<sup>(١)</sup> وهو دعوة إبراهيم ﴿ابعث فيهم رسولا منهم﴾<sup>(٢)</sup>.
- ✽ بشرت التوراة والإنجيل بمحمد ﴿النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة  
والإنجيل يأمرهم بالمعروف... ويضع عنهم إصرهم والأغلال﴾<sup>(٣)</sup>.
- ✽ وصفت التوراة والإنجيل النبي وأصحابه ﴿محمد رسول الله والذين معه... سيماهم في  
وجوههم... ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل...﴾<sup>(٤)</sup>.
- ✽ إنجيل عيسى هو البشارة بمحمد النبي الخاتم الذي يملأ الأرض رحمة وعدلاً بعد أن ملئت  
جوراً وقسوة وظلماً ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(٥)</sup>.
- ✽ وصف النبي بالشهادة من أشرف أوصافه وقد جاء صيغة اسم الفاعل ﴿شاهداً﴾ مطلقاً  
غير مقيد فهو شاهد عدل صادق مصدق في شهادته تحملاً لها وأداء.
- ✽ أقام الله رسوله شاهداً على الأمم إلى قيام الساعة شهادة من الله له بأنه الصادق بالشهادة  
الأمين على أدائها وهي أبرز صفات الشاهد.
- ✽ اشتهر النبي صلى الله عليه وسلم بين قومه قبل النبوة بالصادق الأمين واشتهر بمحمد  
وبأحمد الصفات وشهدوا له بذلك أربعين سنة.

(١) الصف : ٦

(٢) البقرة : ١٢٩

(٣) الأعراف : ١٥٧

(٤) الفتح : ٢٩

(٥) الأنبياء : ١٠٧

﴿النبي الخاتم هو الشاهد لله بالوحدانية بما أراه الله رأي العين من ملكوته وعرج به إلى السماء حتى كلم ربه﴾ ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾<sup>(١)</sup>.

﴿بعثة النبي محمد هي شهادة على صدق الأنبياء قبله الذين بشروا به أممهم وأخبروهم به وبأوصافه حتى أنهم﴾ ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿بعث الله النبي فكانت بعثته في ذاتها شاهدا على أن ما بشرت به الأنبياء قبله صدق وحق فتحقق له بذلك وصف الشهادة والشاهد على ما غاب .

﴿والنبي كذلك الشاهد على أمته﴾ ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾<sup>(٣)</sup> بما أقام لهم وعليهم من حجج الله بالقرآن ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿والنبي هو الشاهد على عالم الغيب بما أشهده الله عليه بالمعراج وبما اطلع على ملكوت الله مما لم يطلع الله عليه أحدا من أنبيائه قبله.

﴿النبي هو الشاهد العدل على وحدانية الله﴾ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾<sup>(٥)</sup> وأكملهم علما وأعلمهم محمد.

﴿النبي هو الشاهد بوحدانية الله بالوحي والشاهد على عالم الغيب بالاطلاع والشاهد للأنبياء ببعثته والشاهد على أمته يوم القيامة برسالته.

﴿ونكمل غدا بإذن الله في بيان صفات النبي في سورة الأحزاب.

﴿أخبر الله بأنه بعث رسوله محمدا﴾ ﴿مبشرا﴾ ووصف كتابه الذي أنزله ﴿هدى وبشرا﴾ ﴿والبشارة الإخبار بما يسر مما لا يعلم به السامع قبل ذلك.

(١) النجم : ١١

(٢) البقرة : ١٤٦

(٣) البقرة : ١٤٣

(٤) النساء : ١٦٥

(٥) آل عمران : ١٨

﴿ جاء تقييد البشرى بالقرآن تارة ﴿بشرى للمسلمين﴾<sup>(١)</sup> وتارة ﴿بشرى للمؤمنين﴾<sup>(٢)</sup> وتارة ﴿بشرى للمحسنين﴾<sup>(٣)</sup> كما في مراتب الدين الثلاث في حديث جبريل.

﴿ مراتب الدين ثلاث:

الإسلام وهو أولها وأوسعها  
ثم الإيمان أرفع منها  
ثم مرتبة الإحسان أعلاها جميعا.

﴿ وكل الثلاث مشمولون أهلها بالبشرى

النبي مبشر  
والقرآن بشرى.

﴿ والمسلمون والمؤمنون والمحسنون كلهم مبشرون بما يسرهم وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿ أول بشارة في سورة البقرة الخلود بالجنة ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار... وهم فيها خالدون﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿ البشرى الثانية في سورة آل عمران بالنصر والمدد بالملائكة ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿ البشرى الثالثة بالنعمة من الله والفضل ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿ البشارة الرابعة رحمة الله ورضوانه ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدون فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) النحل : ٨٩

(٢) النمل : ٢

(٣) الأحقاف : ١٢

(٤) البقرة : ٢٥

(٥) آل عمران : ١٢٦

(٦) آل عمران : ١٧١ - ١٧٢

(٧) التوبة : ٢١

❁ البشارة الخامسة المكانة العظيمة عند الله يوم القيامة ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾<sup>(١)</sup> وهم ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾<sup>(٢)</sup>.

❁ البشارة السادسة الحياة الطيبة في الدنيا بالإيمان ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾<sup>(٣)</sup> ففي الدنيا جنة للمؤمنين قبل جنة الآخرة.

❁ من البشرى في ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾<sup>(٤)</sup> الرؤيا الطيبة حالا ومشاهدة بالذكر الحسن الجميل بين المؤمنين (تلك عاجل بشرى المؤمن)<sup>(٥)</sup>.

❁ الرؤيا الصادقة مناما كالرؤيا الطيبة يقظة كما في الصحيح (لم يبق من النبوة إلا المبشرات الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له)<sup>(٦)</sup>.

❁ البشارة السابعة الأجر الحسن الكبير من ربهم ﴿وببشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾<sup>(٧)</sup> و ﴿أجرا حسنا. ماكنين فيه أبدا﴾<sup>(٨)</sup>.

❁ البشارة الثامنة المغفرة للذنوب والستر للعيوب والتجاوز عن السيئات ﴿من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾<sup>(٩)</sup>.

❁ البشارة التاسعة ولاية الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾<sup>(١٠)</sup>.

---

(١) يونس : ٢  
(٢) القمر : ٥٥  
(٣) يونس : ٦٤  
(٤) يونس : ٦٤  
(٥) رواه مسلم.  
(٦) رواه البخاري.  
(٧) الإسراء : ٩  
(٨) الكهف : ٢ - ٣  
(٩) يس : ١١  
(١٠) فصلت : ٣٠ - ٣١

❁ الله الرحمن هو صاحب البشارة لعباده المؤمنين ❁ في روضات الجنات لهم ما يشاءون  
عند ربهم... ذلك الذي يبشر الله عباده ❁ (١) فأكرم به ربا.

❁ بشر النبي المؤمنين بكل خير  
بالحياة الطيبة  
النصر  
مغفرة السيئات  
الثواب العظيم  
ولايمة الله  
رضوان الله  
النجاة  
الفوز  
الجنة  
الخلود.

❁ تحقق بكل هذه البشارات وصف النبي بأنه النبي المبشر بأعظم البشارات وأجلها وأكرمها  
ونكمل بإذن الله غدا باقي صفاته في سورة الأحزاب.

❁ بعث الله رسوله محمدا ❁ نذيرا ❁ وقال كما في آيات أخر ❁ إني لكم نذير مبين ❁ (٢) وفي  
وفي آيات ❁ النذير المبين ❁ (٣) الذي أكمل الله به الحجة على الخلق.

❁ النذير المبين وصف فيه كمال النذارة ووضوحها وهي الإعلام بما سيقع من السوء في  
المستقبل لمن أعرض عن الله وهداياته وعن النبي وطاعته.

❁ كما بشر الله بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة لمن آمنوا به أنذر من أعرضوا ❁ ومن  
أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ❁ (٤) في الدنيا والآخرة.

❁ قوله ❁ إني أنا النذير المبين ❁ (٥) فيه حصر وقصر بأقوى أدوات القصر وهي إن وضمير  
الفصل أنا ودخول أل على نذير فليس بعده نذير ولا مثله نذير.

(١) الشورى : ٢٢ - ٢٣

(٢) الذاريات : ٥٠

(٣) الحجر : ٨٩

(٤) طه : ١٢٤

(٥) الحجر : ٨٩

❁ وصف النذير بالمبين فجمع بين صيغة المبالغة في نذير فهو بالغ الغاية والاجتهاد في نذارته لكم ومبين بالغ الغاية في وضوح بيانه لكم.

❁ المبين صفة للنذير ولم يذكر معموله ليفيد الإطلاق فهو مبين ظاهر بأنه نذير من الله بلا شك وهو أيضا مبين في كلامه وبيانه لتفهموه.

❁ جاءت النذارة بما سيقع لكل إنسان وحده وبما سيقع للناس جميعا ومن ذلك :

١ - النذارة من عقاب الله لمن عصاه ﴿لِيُنذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - النذارة من عاقبة الظلم ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقد توعد الله الظالمين فقال ﴿لَنَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> في الدنيا والآخرة.

٣ - وقوع المصيبة في الدنيا بالموت وعذاب القبر والقيامة ﴿وَأُنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤ - إنذارهم أهوال يوم القيامة ﴿وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعْنِي لِأَعْمَلْ صَالِحًا﴾<sup>(٦)</sup>.

٥ - إنذارهم ساعة وقوفهم للحساب بين يدي الله ﴿وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(٧)</sup>.

❁ لم يترك القرآن شيئا مما سيقع لكل إنسان حين تقوم قيامته عند الموت وعذاب القبر وما بعده ولكل الناس كافة يوم بعثهم وحسابهم إلا بينه.

❁ كان النبي حقا هو النذير المبين من كل ما يخشى على كل إنسان وحده والخلق كافة فلم يقصر في نذارته حتى قال لهم (أنا النذير العريان)<sup>(٨)</sup><sup>(٩)</sup>.

(١) الكهف : ٢

(٢) الأحقاف : ١٢

(٣) إبراهيم : ١٣

(٤) إبراهيم : ٤٤

(٥) مريم : ٣٩

(٦) المؤمنون : ١٠٠

(٧) غافر : ١٨

(٨) النذير العريان: كناية عن الاجتهاد غاية الاجتهاد في التحذير، كما يفعل النذير عند العرب قديما يأتيهم صارخا متجردا من ثيابه.

(من تغريدات الدكتور)

(٩) رواه البخاري ومسلم.



﴿شاهدا﴾ ونكمل بإذن الله غدا الحديث عن صفته صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب ﴿شاهدا﴾ ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾.

﴿شاهدا﴾ خاطب الله محمدا بالنبوة ﴿يا أيها النبي﴾ وكلفه بالرسالة ﴿إنا أرسلناك﴾ وجعله حجة على الخلق ﴿شاهدا﴾ بالبشارة ﴿مبشرا﴾ والنذارة ﴿نذيرا﴾.

﴿شاهدا﴾ بعد وصف الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة ثم الرسالة ثم الشهادة ثم البشارة والنذارة وصفه بالغاية من ذلك ﴿وداعيا إلى الله﴾.

﴿شاهدا﴾ كل ما جاء به الرسول هو بيان للدعوة التي بعث داعيا إليها وهي الصراط المستقيم الموصل إلى الله ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾<sup>(١)</sup>.

﴿شاهدا﴾ دعوة النبي هي في ذاتها هداية للخلق لمن أراد الاهتداء ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ . صراط الله<sup>(٢)</sup> وهي الدعوة لتوحيد الله وطاعته وحده.

﴿شاهدا﴾ الداعي هو خاتم الرسل وأكرمهم والدعوة للإسلام والصراط المستقيم والمدعو إليه هو الله ﴿داعيا إلى الله﴾ ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿شاهدا﴾ تقييد الدعوة بأنها إلى الله ﴿داعيا إلى الله﴾ تنفي عنه كل غرض آخر ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾<sup>(٤)</sup> إلى الله بالتقرب له.

﴿شاهدا﴾ قوله ﴿داعيا إلى الله﴾ فيه نفي الشريك عن الله في الدعوة كلها ابتداء وانتهاء فهو الذي يدعى إليه الخلق لعبادته وحده وطاعته لا شريك له.

(١) المؤمنون : ٧٣

(٢) الشورى : ٥٢ - ٥٣

(٣) البروج : ٩

(٤) الشورى : ٢٣

﴿بين الله لرسوله سبيل الدعوة إليه﴾ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة  
وجادلهم بالتتي هي أحسن﴾<sup>(١)</sup> فقيدهما بالحسنة والأحسن.

﴿أمر الله رسوله بأن يدعو إليه بالموعظة الحسنة ويجادل بالتتي هي أحسن لأن الجدل محل  
الخصومة فتحرى له أحسن أسلوب رحمة ورأفة بالمعاندين.

﴿لم يقيد الدعوة بالحكمة بوصف كما في الموعظة الحسنة والجدل بالأحسن لأن الحكمة في  
حد ذاتها تفتضي اختيار أنسب الأساليب لتحقيق الأغراض.

﴿قيد الله وصف الداعي إليه بإذنه﴾ وداعيا إلى الله بإذنه﴾ تأكيدا لربوبيته سبحانه وعبودية  
رسوله وأنه ليس للرسول أن يأتي بشيء من عنده.

﴿النبى داع إلى الله وصراطه المستقيم وهو الإسلام﴾ بإذنه﴾ ووحيه وأمره وقضائه وقدره  
فلا يجيب الدعوة إلا من هداه الله لهداه بفضلته وكرمه.

﴿نكمل غدا (نظرات قرآنية) في سورة الأحزاب وهي خاتمة النظرات القرآنية الرمضانية  
بإذن الله تعالى.

﴿ختم الله صفة رسوله بقوله﴾ وسراجا منيرا﴾ والسراج في القرآن جاء وصفا للشمس  
والمنير للقمر﴾ وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾<sup>(٢)</sup> فجمع الوصفين.

﴿وصف الله الشمس في القرآن فقال﴾ وجعل الشمس سراجا﴾<sup>(٣)</sup> وقال﴾ سراجا وهاجا﴾<sup>(٤)</sup>  
بينما قال﴾ وقمرا منيرا﴾ وجمع الوصفين لرسوله﴾ سراجا منيرا﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿يحتاج الخلق لوهج الشمس وحرارتها لتمدهم بالطاقة والحياة نهارا وإلى نور القمر  
للاهداء ليلا فكان النبي حياة للقلوب ونورا للأبصار.

(١) النحل : ١٢٥

(٢) الفرقان : ٦١

(٣) نوح : ١٦

(٤) النبأ : ١٣

(٥) الفرقان : ٦١

﴿ جعل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم كالشمس ووجهها في حاجة الخلق إليها لصلاح حياتهم وكالقمر ونوره في ظلمات الليل لهدايتهم.﴾

﴿ لما كانت الشمس سراجا وهاجا وقد يضر شدة وهجها الأبصار نهارا جاء بوصف ﴿منيرا﴾ لينفي ذلك فهو سراج منير في نفسه ولغيره لمن اهتدى به.﴾

﴿ الجمع بين وصفي الشمس والقمر وتوحيدهما في محمد إشارة إلى أنه هو مصدر الهداية إلى الله فلا حياة إلا باتباعه ولا اهتداء إلا بنوره.﴾

﴿ لا طريق إلى الله إلا صراطه المستقيم الذي بعث به محمدا وهو الإسلام وكل طريق إلى الله سواه مسدود وكل سائر إلى الله في غيره مردود.﴾

﴿ لا طريق إلى الله إلا باتباع محمد خاتم النبيين واتخاذة ﴿أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ فهو الهدى والهادي والداد والدليل.﴾

﴿ جعل الله الوسطة بين رسوله الخاتم والأمم إلى قيام الساعة أصحابه وأتباعه ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾<sup>(١)</sup>.﴾

﴿ جعل الله أصحاب رسوله ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾<sup>(٢)</sup> وشهداء على الأمم ﴿جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾<sup>(٣)</sup>.﴾

﴿ بعد أن تحدثت سورة الأحزاب عن النبي والرسالة والبشارة والندارة وحال الخلق فيها بين مؤمن وكافر ومنافق ذكرت ابتداء الإنسان ونهايته.﴾

﴿ قال ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ وهي أمانة التكليف فأطاعت المخلوقات وخفن حمل الإثم.﴾

(١) يوسف : ١٠٨

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) البقرة : ١٤٣

﴿ جاء التكليف للسموات والأرض في قوله ﴿انتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾<sup>(١)</sup>  
فأبين العصيان ورضين بالأداء ﴿وحملها الإنسان﴾ بالمعصية.

﴿ وسبب تحمل الإنسان جريرة التفريط في أداء الأمانة ﴿إنه كان ظلوما﴾ لنفسه ولغيره  
بالمعصية والظلم والعدوان ﴿جهولا﴾ بعاقبة عصيانه لربه.

﴿ اللهم فصل وسلم على رسولك محمد وعلى آله وأصحابه ﴿والذين جاءوا من بعدهم  
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾<sup>(٢)</sup>.



---

(١) فصلت : ١١  
(٢) الحشر : ١٠

## الفهرس

- ٦ ..... من هدايات سورة الفاتحة
- ١٢ ..... الإيجاز في بيان أوجه الإعجاز في سورة (الكافرون)
- ٢٤ ..... من تفسير سورة الماعون
- ٢٨ ..... نظرات قرآنية حول سورة العصر
- ٣٠ ..... نظرات قرآنية حول سورة البلد
- ٣٣ ..... تأملات في سورة الروم
- ٥٣ ..... نظرات قرآنية حول السور الثلاث (العنكبوت والروم ولقمان)
- ٦٠ ..... نظرات قرآنية حول سورة الشورى
- ٧٨ ..... نظرات قرآنية حول سورة الأحزاب